أخبار أبي العيناء اليمامي

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

طبع

١٣٩٨ - ١٩٧٨

بإشراف

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

محمد بن ناصر العبودي

أخبار أبي العيناء اليمامي

١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

طبع بإشراف
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

أخبار أبي العيناء اليمامي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وشكراً ، وتمجيداً وذكراً ، وصلاة وسلاماً على رسوله المجتبى ، وخليله المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن استنّ بسنته واتبع هـــداه .

أما بعد ؛ فقد قرأت باعجاب بعض أخبار أبي العيناء اليمامي عندما كنت أسير في مطالعتي بعض كتب الأدب العربي القديم فأردت المزيد منها ، فبحثت عن كتاب في أخباره مما ألفه القدماء فلم أجد إلا ما ذكر من أن الصاحب بن عباد ألّف فيها كتاباً أسماه : « أخبار أبي العيناء »[1] ولكنه كتـــاب مفقـــود .

فلحقني من الأسف على عدم الاطلاع عليه أمر عظيم . ولكنني رجعت إلى نفسي قائلاً : لِمَ الأسف والتحسر على فقد كتاب ابن عبّاد ولديَّ من الكتب التي يمكن الرجوع اليها ، وتلمس أخبار أبي العيناء فيها ، العدد الكبير ، ولعلي أجد فيها ما يشفي الغليل من تلك الأخبار . إلا أنني وجدتّها متفرقـــة مشتة ، فحدثتني نفسي بجمعها في ورقات ما إن اكتملت لَدَيَّ حتى خُيِّل

(١) « معجم الأدباء » : ج ٦ ص ٢٦٠ .

إليّ أنها تحوي من أخبار أبي العيناء ما قد يفوق – في المقدار – ما جمعه الصاحب ابن عباد .

لأنه قد تيسر الآن للباحث المُحْدَث الإطلاع على العدد الكبير من الكتب التي طبعت وأصبحت في متناول يده في خزائن الكتب في أنحاء العالم . فحزمت أمري على إصدارها في كتاب مؤكداً للقارىء الكريم أنها ليست دراسة تحليلية لشخصية أبي العيناء ، ولا هي بالبحث الكامل المتكامل في ظروف حياته : وأحوال عصره ، وليست بالنقد الشامل لكل ما روي عنه ، ودُوِّن من أخباره ، ولكنها جَمْعٌ وتخريج لأخباره في المقام الأول من باب الاستمتاع بها ، والتملح بروايتها ، والتفكه بمعانيها الدقيقة ، ونكتها العذبة . مع إيراد بعض الملاحظات والاستدراكات ، وإصدار بعض الأحكام الأدبية المبنية على النصوص الواردة .

ولذلك لم أزِن كل ما قاله أبو العيناء بميزان ما ينبغي أن يقوله ، وما لا ينبغي أن يقوله ، ولم أسائل نفسي عند نقل كل جملة من كلامه : أكان على حق في قولها ؟ أم كان قد جاوز الحق أو قصر دونه . فذلك شأن من يَرَى لا مَنْ يَرْوِي .

وإيراد أخبار أبي العيناء في هذا الكتاب هو من باب الرواية لا من باب الرأي ، أو هو من باب التسجيل لا مِنْ باب التقرير . وفرْقٌ بين البابين كبـــير .

وسميت تلك الأوراق : « أخبار أبي العيناء » فهي تطابق تسمية كتاب الصاحب بن عباد ، وهي في جمعها وتخريجها تشابه – من بعض الوجوه – طريقة المؤلفين في أخبار الأدباء والظرفاء في زمن أبي العيناء . لذلك وجب – في نظري – أن تسمى باسم يقرب من تسميات الكتب المتبعة في ذلك الزمان .

الرياض : في : ١٣٩٧/٥/٢٦ هـ
١٩٧٧/٤/١٤ م

محمد بن ناصر العبودي

اسم أبي العيناء ونسبه

هو محمد بن القاسم بن خلاّد [1] بن ياسر [2] بن سليمان [3] .

مولى أبي جعفر المنصور ، فهو هاشمي بالولاء .

أصله من اليمامة . واليمامة موطن العرب الأقحاح . ولكن نص المؤرخون على أنه مولى ، وأقر أبو العيناء بنفسه على نفسه في عدة مواضيع بأنه مولى .

إذاً هو عربي الدار ، واللسان ، وسنرى — فيما بعد — أنه فاق كثيراً من العرب الصُّرحاء في فصاحة اللسان ، وملكة البيان ، ولكن إلى أي جنسٍ يتصل نسبه من أجناس الأمم ؟

---

(١) وقف عند جده خلاد ابن النديم في الفهرست ص ١٨٧ والبكري في سمط اللآلىء ج ٣ ص ٥ والقالي في الأمالي ج ١ ص ٦٩ وابن العماد في شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٠ .
وضبط ابن خلكان خلاداً فقال : بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد اللام ألف .

(٢) ساق نسبه إلى ياسر ولم يرفعه أكثر من ذلك الحافظ ابن كثير في البداية ج ١١ ص ٧٣ والصفدي في نكت الهيمان ص ٢٦٥ .

(٣) نور القبس ص ٢٢٢ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٠ والديارات ص ٦٠ والمنتظم ج ٥ ص ١٥٦ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٦ .ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٧٧ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٤ .

إن المولى يجوز أن يكون أسود اللون من إفريقية كما يجوز أن يكون أبيض من شرقي أوربة ، كما يجوز أن يكون أصفر اللون ، أو أخضره ، أو خلاسياً من بقية القارات المعروفة في ذلك العهد ، اننا نستبعد أن يكون أبو العيناء أسود اللون . ذلك بأن الذين هم سود الألوان من المشاهير قد اعتاد المؤرخون على أن يُنَوِّهُوا بألوانهم مثل أبي دلامة ، ونصيب ، وَجَدِّ الجاحظ . بل الأقرب أن يكون لون أبي العيناء لوناً عادياً لا يسترعي الانتباه لذلك أغفل ذكره المؤرخون كما أغفلوا ذكر لون غيره من كثير من المشاهير .

وإذا كان لنا أن نحكم على أصله من واقع أثر كلامه ، وطبيعة بيانه في النفس فاننا يمكن أن نفترض أنه كان فارسي الأصل من الرقيق الذين استولى عليهم المسلمون عندما فتحوا العراق ، بقي أجداده في اليمامة إلى أن تحولوا إلى العراق بأمر أبي جعفر المنصور كما سيأتي ذكر ذلك في فصل موطنه .

وكان أول من انتقل منهم إلى البصرة جده خلاد وإن كان هو يقول غير ذلك ويرجع نسبه إلى بني حنيفة كما سيأتي .

وقصة انتقال جده خلاد إلى البصرة ليست مما يشرفه إلا في باب الشدة والغلظة والصلابة ، فهي تنص على أنه من قوم لئام الأصول ، ولعل المراد بذلك أنهم ليسوا من ذوي النسب العربي العريق ، أنذال النفوس ، وربما يكون بذلك أنهم لا يترفعون عن مباشرة أي عمل يوكل اليهم ، ولو لم يكن عملاً مشرفاً ، وهم صلاب الوجوه ، أي : لا يستحون أن يفعلوا ما يريدون فعله .

كما قال زميل لأبي العيناء في الولاء لبني هاشم وهو صالح بن النطاح : إن الخليفة المنصور طلب رجالاً ليكونوا بوابين له ، فقيل : إنه لا يضبط هذا إلا قوم لئام الأصول ، أنذال النفوس ، صلاب الوجوه ، ولا تجدهم إلاّ في رقيق اليمامة .. فكتب إلى السَّريِّ بن عبد الله الهاشمي ، وكان واليه على اليمامة ، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة ، فاختار بعضهم فصيّرهم بوابين ، وبقي الباقون فكان ممن بقي خلاد جد أبي العيناء [1] .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧١ ومعجم الأدباء ج ٣ ص ٣ .

ولكن هل ذلك الوصف الوضيع لرهط أبي العيناء في محله ؟ وهل هو من الانصاف في الموضع الذي يجب أن يكون فيه ؟

لا أعتقد أن الاجابة ستكون بنعم ، لأن أولئك القوم قد توفرت فيهم صفة لم تكن تتوفر في غيرهم وهي الاخلاص في الواجب وعدم التفريط في العمل ، وعدم التهاون فيه ، وعدم الاستحياء من فعل ما يأمر به صاحب الأمر ، أو قل : انه الانضباط في الأمر . وتلك بلا شك مما ينبغي أن تشكر لأهل اليمامة تشكر لأهل اليمامة إذا ذكرت لأنهم ربوا غلمانهم ، ونشأوا مواليهم على تلك الخصال التي لم يقو عليها غيرهم .

وولاء أبي العيناء لبني هاشم لم ينكره بل وذكره في عدة أخبار ونكات .

من ذلك ما رواه الخطيب عن أبي العيناء قال : دعا المنصور جدي خلاّداً وكان مولاه فقال له : أريدك لأمر قد همني ، وقد اخترتك له ، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب :

ألكني اليها[1] ، وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخَبَرْ

فقال : أرجو أن أبلغ رضى أمير المؤمنين ، فقال : صِرْ إلى المدينة على أنك من شيعة عبد الله بن حسن ، وابذل له الأموال ، واكتبْ إليَّ بأنفاسه ، وأخبار ولده ، فأرضاه . ثم علم عبد الله بن حسن أنه أُتيَ من قِبَله ، فدعا عليه وعلى نسله بالعمى ، قال : فنحن نتوارث ذلك إلى الساعة[2] .

ان هذه القصة لا تدل على المثالية في العمل ، ولكنها تدل على الانضباط والطاعة ، وقوة الشخصية ، وشدة الشكيمة ، وضبط النفس ، وسعة الحيلة . ويمكن أن يتباهى بها أبو العيناء من هذه الناحية ، وان كان قد عوقب عليها

---

(١) الكني إليها : ابعثني اليها .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧١ . والمنتظم ج ٥ ص ١٥٨ .

فيما يقول بالعمى كما سيأتي تفصيل ذلك في فصل « عماه » .

وأبو العيناء إذ يعترف بولائه لبني العباس ويكرر الاعتراف به فانه لا ينسى أن يفعل كما يفعل غيره من سكان جزيرة العرب الذين ضاعت أنسابهم فيرجع نسبه إلى قبيلة عربية أصيلة من سكان اليمامة موطنه بل هي كانت أكبر قبيلة عربية يسكن أفرادها اليمامة في زمنه وهي قبيلة بني حنيفة العدنانيـــة المشهورة . ورغم أن العقل لا ينكر جواز كون أبي العيناء عربي الأصل ، وان الولاء الذي لحقه انما هو عارض فان ذلك يحتاج إلى دليل أو قرينة عن غيره من الأشخاص .

قال الحصري : قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل : حدثني أبي قال : سألت أبا العيناء عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر ابن سليمان . وأصل قومي من بني حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سباء في أيام المنصور ، فلما صار ياسر في قيده أعتقه فولاؤنا لبني هاشم [1] .

هذا ما قاله أبو العيناء ، ولكن كيف يلحقهم سباء في أيام المنصور ، وهي أيام الإسلام الذي لا يجيز سباء العرب ، بل لم يكن هناك عرب غير مسلمين في الجزيرة حتى يلحقهم سباء ، اللهم الا اذا كانوا قد سبوا وهم خارج الجزيرة لكونهم كانوا قد تركوها لأمر من الأمور أو إذا كان الذي سباهم لا يتقيد بتعاليم الإسلام في الرق فيبيع من وقع في يده ، ولو كان حر الأصل ، مسلم الديانـــة .

وقد جزم النويري بأن أبا العيناء عربي النسب من بني حنيفة وانما لحق ياسرٌ جدَّه سباءٌ فأعتقه المنصور فصار ولاؤه لبني هاشم . ولعله اعتمد على ما قدمناه من قول أبي العيناء نفسه في ذلك .

قال النويري : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، من بني

---

(١) « زهر الآداب » ج ١ ص ٣٢٣ .

حنيفة أهل اليمامة . وأسر ياسر في سباء في خلافة المنصور – فلما صار في يد المنصور أعتقه ، فهم موالي بني هاشم [1] .

وأصرح من ذلك وأوضح قول الحافظ بن حجر الذي ذكر نسب جده خلاد بن ياسر بن سليمان ، وقال : أصله من اليمامة وهو من بني حنيفة ورئيسهم [2] فهو لم يكتف بكونه جزم بإثبات نسبه في بني حنيفة ، وانما أثبت له رئاسته في بني حنيفة ، بقوله ورئيسهم . فلعله اطلع على نص في هذا الموضوع لم نطلع عليه .

على أن ذلك يتنافى مع ما هو مشهور من أن جد أبي العيناء كان من قوم لئام الأصول ، أنذال النفوس ، وهي رواية بلغت حد التواتر التاريخي فلو كان ما ذكره ابن حجر – من كونه سيد بني حنيفة من أهل اليمامة لما روى فيه ما ذكر . اضافة إلى أن أبا العيناء نفسه لم يَدّعِ ذلك فيما ادعاه من نسبه في بني حنيفة ، فلم يقل ان جده كان من رؤسائهم ولو كان لذلك أصل صحيح لكان ذكره وتمدح به من دون شك .

وأقل صراحة من ذلك وأكثر توسطاً ما ذكره الشابشيّ في أصل أبي العيناء حيث قال : أصله من اليمامة من بني حنيفة أنفسهم [3] ..

فهو ذكر في هذه العبارة أنه من بني حنيفة ثم أكد ذلك بقوله من أنفسهم لينفي القول بأنه مولى لهم . ولم يذكر ما قاله أبو العيناء عن نفسه من أنه مولى لحقه سباء ولا ما أطلقه غيره من كونه مولى لبني العباس دون أن يذكروا كونه من بني حنيفة . وهذا مما يورث الشك في رواية الشابشيّ ، اللهم الا اذا كان قد وقف على نص أقنعه بأن ولاء أبي العيناء لبني العباس كان أمراً عارضاً بالنسبة إلى أصله الحنفي ولذلك لم يستحق عنده أن يذكر أو يُفَوَّه به .

---

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ .
(٢) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ .
(٣) الديارات ص ٦٠ .

كُنْيَةُ أبي العَيْناء

كان أبو العيناء يكنى أبا عبد الله وهي الكنية الأولى التي كان يعرف بها ، بل واستمرّ يعرف بها كناه بها كثيرون ممن ترجم له ، أو ذكره وخاطبه بها الإمام الأديب المرزباني كما سيأتي ذلك في فصل (عماه) . ولكن كنية أخرى عرضت له فلحقت به ، ولزمته حتى عرف بها ، بل لم يكد يعرف بغيرها وهي « أبو العيناء » وهي كنيةٌ غلبت حتى على اسمه إلاّ في ذكر التعريف به ، فما معنى هذه التكنية (أبي العيناء) وما سببها ؟

لنستمع إلى أبي العيناء نفسه يوضح ذلك فيقول حين سأله رجل فقال : يا أبا عبد الله كيف كُنِّيت أبا العيناء ؟

فقال أبو العيناء : قلت لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري : يا أبا زيد ، كيف تصغر عَيْناً ؟ قال : عييناً ، يا أبا العيناء ، فلحقت بي من ذاك [1] ! فهذه التكنية كما قال هو كان سَبَبُها اشتغاله بالعلم .

أما المرزباني فقال في ترجمته القصيرة له : أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد اليمامي مولى بني هاشم يكنى أبا عبد الله ، وأبو العيناء : لقب له [2] وقال في كتاب آخر : وأبو العيناء : لقب غلب عليه [3] .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٢ والبداية والنهاية ج ١١ ص ٧٣ . والمنتظم ج ٥ ص ١٥٦ .
(٢) معجم الشعراء ص ٤٤٨ .
(٣) نور القبس ص ٣٢٢ .

وضبط ابن خلكان كنيته فقال : عَيْنَاء : بفتح العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحت ، وفتح النون ، وبعدها ألف ممدودة [1] .

ولكن هل الكنية بأبي العيناء تشعر بمدحٍ أو بذمٍّ أم هي كاللقب المجرّد ؟

الجواب : الذي يستشف من النصوص أنها لم تكن تدل على أي معنى خاص في ذهن أبي العيناء فهو كان يكني نفسه بها ، والناس الذين يخاطبونه لم يكونوا يتحاشون ذكرها في كلامهم ، ولو كانوا يعرفون أنها تثير في نفسه شيئاً من الاستياء لكانوا يتحاشون ذكرها في مخاطبته أو على الأقل كان بعضهم يفعل ذلك .

ولا نجد نصوصاً يفهم منها غير ما ذكرناه إلا ما حكي عن مطايبة بين الجاحظ وأبي العيناء في مجلس الحسن بن وهب ...

... فقد حاول الجاحظ من باب المداعبة والمفاكهة أن يقول ان اسم أبي العيناء وكنيته الأخرى أو قل الأولى وهي أبو عبد الله أحسن من اسم الجاحظ وكنيته إلا أن لقب الجاحظ .. أفضل من « لقب أبي العيناء » . ويريد به هذه الكنية ، ولكن أبا العيناء ، السريع البديهة ، القوى العارضة ، انبرى للجاحظ يرد عليه ، ويفند رأيه بقوله : « أبو العيناء يدل على كُنْيَة ، و « الجاحظ » يدل على عاهة [2] والكنية وإن سمجت أصلح من العاهة وإن صلحت [3] .

---

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ .
(٢) لأن الجاحظ من جحظت عين الرجل إذا برزت .
(٣) سيأتي النص كاملا في فصل « مرويات أبي العيناء » .

مَوطِنُ أبي العَيْناء

هو يمامي الأصل ، أو بالتعبير الأوضح هو نجْدي الأصل إذ كان جده خلاّد قدم من اليمامة إلى البصرة .

بل اشتهر أصله في الموطن حتى لقّبه بعضهم باليمامي ومنهم أبو الحسين محمد بن سليمان الجوهري المعروف بجوذاب ، قال : قدم أبو العيناء ، واسمه محمد بن القاسم بن خلاد أبو عبد الله اليمامي البصرة في سنة ثمانين ومائة [1] ، فكنا نصير اليه نجالسه ، ونسمع كلامه ، ونكتب ما يجري في المجلس من أخباره وكذلك المرزباني نسبه إلى اليمامة ولم ينسبه إلى غيرها [3] .

فأصله من اليمامة ولكنه ولد في الأهواز ، ونشأ في البصرة ، وعاش بعد ذلك ردحاً من عمره في بغداد عاصمة الدنيا ، وحاضرة الإسلام في زمنه .

قال الخطيب في ترجمته : أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشؤه بالبصرة ... وانتقل من البصرة إلى بغداد فسكنها ، وكتب عنه أهلها [4] .

ولم نعرف سبب خروجه من البصرة إلا أن ابن الجوزي رحمه الله قال : إن سبب خروجه من البصرة فراره من الغلام الذي ستأتي قصته مع أبي العيناء في فصل روايته الأخبار الظريفة .

على أننا نعتقد أنه ليس هناك سبب خاص دعاه للهجرة إلى بغداد ، وإنما هو السبب العام الذي يحمل الناس على انتجاع الخير في المدن الرئيسية ، أو قُلْ

(١) كذا الأصل ولا أشك في أن صحتها هي سنة ثمانين ومائتين ، وأنه قدم إلى البصرة من بغداد .
(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٢ .
(٣) معجم الشعراء ص ٤٤٨ .
(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٠ .

في عواصم الدول ، وليس مسئلة غلامه التي هي من باب الملح والطرائف التي يكون للتوليد وللخيال فيها نصيب في بعض الأحيان .

وقد وصف أبو العيناء موطنه البصرة عند الخليفة المتوكل بوصف لا يُسَر له مَنْ يريد أن يذْكر محاسنها ، فقد سأل المتوكل أبا العيناء : من أين أنت ؟ قال : من البصرة . قال : فما تقول فيها ؟

قال : ماؤها أجاج ، وحَرُّها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جَهَنَّـــم [1] .

أي : أنها تطيب في الشتاء .

ولكن أبا العيناء ذكر البصرة بمدحها بما لا يستطيع مادح لها أن يَدَّعي أكثر منه إلاّ في النادر . فقال : يُقال : لا يعرف بلد أقرب بَرّاً من بحر ، وَحَضَراً من بَدْو ، وقانص وَحْش ، وصائد سمك ، ونجداً من غور ، من البصرة ، واسطة الأرض ، وفرضةَ التجار ، ومغيضَ الأمطار ، ومسكن الأحرار ، عَجَبٌ ، أولها رُطَبٌ ، وأوسطها قَصَبٌ ، وآخرها العُطَبُ ، — والعطب : القطن — لهم الراسخات في الوحل [2] ، المُطْعِمَاتُ في المحل ، المُلْقَحَاتُ بالفَحْل ، تَعِلّةٌ الصبيِّ والشيخ ، وتحفةُ مريم عليها السلام [3] .

أما موطنه الأول . أي موطن أجداده وهو اليمامة فلم أرَ أبا العيناء خصه بمدح أو قدح ، كما لم أجد ما يدل على أنه قد زاره ، أو كان له فيه ما يجعله يتعلق به . ولعل ذلك لكونه لا يحمل في نفسه له أيَّ ذكرى يكون له صَدىً قد يعبر عنه .

على أنه بالاضافة إلى ما ذكره أكثر المؤرخين من أنه انتقل إلى بغداد من البصرة وأقام بها قد ذكر الشابشتي أنه انتجع سر من رأى من بغداد ولقي المتوكل ، وأقام بها . أي في سامرا [4] .

فهو إذاً انتجع غيث الولاة في سر من رأى كما فعل في بغداد ولذلك كان يتردد إلى البصرة بلاده حتى أثناء اقامته في بغداد .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٩ وجمع الجواهر ص ١٥٩ .
(١) يريد النخل .
(٢) نور القبس ص ١٧٣ .
(٣) الديارات ص ٦٠ .

ولادة أبي العيناء ووفاته

تكاد تكون سنة ولادة أبي العيناء مجمعاً عليها ، إذْ كانت في الأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة . ذكر ذلك من ترجموا له . وبعضهم حدد ولادته بكونها في أول السنة المذكورة [1] .

أما سنة وفاته ففيها بعض الخلاف ، إذ قال بعضهم : إنها سنة ثلاث وثمانين ومائتين [2] وحدد بعضهم شهر موته بأنه شهر جمادى الآخرة [3] . بل حدد ابنه أبو جعفر يوم وفاته بقوله : مات أبي لعشر ليالٍ خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين [4] .

وقال آخرون : بل كانت وفاته في سنة اثنتين وثمانين ومائتين [5] وبعضهم قال : إنها كانت في جمادى الآخرة من هذه السنة ٢٦١ .

وبعض المؤرخين حكى القولين معاً [6] .

وعلى هذا يكون أبو العيناء قد عمر طويلاً ، إذْ كان عندما توفي قد نيّفَ

---

(١) المنتظم ج ٥ ص ١٧٥ .
(٢) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٦ . وسمط اللآلىء ج ٣ ص ٤٥ .
(٣) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٩ .
(٤) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ .
(٥) نور القبس ص ٣٢٢ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٩ نقلا عن الحافظ الدارقطني ونكت الهميان ص ٢٦٥ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٠ .
(٦) مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٥ .
(٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٥ .

على التسعين . وكانت وفاته بالبصرة .

وأما سبب وفاته فذكروا أنه كان خارجاً من بغداد يريد البصرة في سفينة فيها أكثر من ثمانين نفساً فغرقت السفينة ، ومات جميع من فيها ولم يسلم منهم غيره فحمل إلى البصرة فمات .

وهذه القصة فيها شيء من الغرابة إذ كيف يغرق جميع ركاب السفينة وفيهم صحاح الأبدان ، أقوياء الأجسام ، وربما كان فيهم من الشبان عدد أكثر ممن كان فيها من الشيوخ . فيعجزون كلهم عن مصارعة اليمّ وعن مقاومة المياه ويغرقون إلاّ شيخاً فانياً ضريراً قد نيف عمره على التسعين فيسلم هو وحده ، علماً بأن الرواية تقول : إن السفينة قد غرقت . أي ذهبت كلها في الماء . اللهم إلا اذا كان أبو العيناء قد نزل لشأن من الشؤون في أحد المراسي على نية العودة إلى السفينة فأقلعت بدونه أو داهمتها الأمواج فغرقت .

على أنّ هناك تخريجاً آخر يلوح من رواية لأحمد بن كامل القاضي من تلاميذ أبي العيناء ، ومن الرواة عنه المذكورين — من أن أبا العيناء مات وحمل في تابوت إلى البصرة [١] . فلعله مات مع من مات من أهل السفينة ولكن نظراً إلى كونه من المشهورين المعروفين حمل في تابوت إلى البصرة فصلي عليه ودفن فيها ، أما غيره من سائر الناس فربما دفن من عثر على جثته منهم في الموضع الذي غرق فيه . أو حملوا إلى البصرة ولم ينوه أحد بذلك لكونهم لم يكونوا من المشهورين المذكورين .

إلا أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله يصرح بخلاف ذلك ويؤيد ما هو ظاهر كلام غيره من أنه لم يمتْ إلا بالبصرة حين قال : أقام أبو العيناء ببغداد مدة طويلة ، ثم خرج يريد البصرة ، فركب في سفينة فيها ثمانون نفساً ، فغرقت فلم يسلم منهم غيره ، فلما وصل إلى البصرة مات [٢] .

وقد فصل هذه الواقعة تفصيلاً الحافظ بن حجر رحمه الله إذْ ذكر

---

(١) راجع « تاريخ بغداد » ج ٣ ص ١٧٩ .

(٢) المنتظم ج ٥ ص ١٦٠ .

كيف سلم من بين الركاب فقال : انحدر أبو العيناء من بغداد إلى البصرة في زورق فيه ثمانون نفساً ، فغرق الزورق ، فلم يخلص أحد ممن كان فيه غير أبي العيناء ، تعلق بطرف الزورق ، فأخرج حيّاً ، فلما دخل البصرة مات ، وجزم المسعودي أنه مات في هذه السنة في جمادى الآخرة [١] .

أقول : مرجع الحافظ بن حجر في ذلك هو « مروج الذهب » للمسعودي إذ جاء فيه ما نصه : وكانت وفاة أبي العيناء سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة في جمادى الآخرة ... وكان قد انحدر من مدينة السلام إلى البصرة في زورق فيه ثمانون نفساً في هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان [٢] فيه إلا أبو العيناء وكان ضريراً ، تَعَلَّقَ بأطراف الزورق فأخرج حيّاً ، وتلف كل مَنْ كان معه ، فبعد أنْ سَلِمَ ، ودخل البصرة مات [٣] .

وقد عُمِّر أبو العيناء دهراً ، فكان من أقواله في الكِبَر ما أجاب به المتوكل أمير المؤمنين حين سأله المتوكل مرة فقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال أبو العيناء في داء يتَمنّاه الناس [٤] قيل له : وكم سِنُّك ؟ قال : قبضةٌ ، يريد ثلاثاً وتسعين سنة [٥] ورواها المرزباني بلفظ آخر فقال : رأى بعض الكتاب أبا العيناء ضعيفاً من الكبر ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فقال أبو العيناء في الداء الذي يَتَمَنّاهُ الناس [٦] :

وروى القالي عن أحمد بن عبيد ، قال :

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ .
(٢) كذا في الأصل (ما كان) .
(٣) مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٥ .
(٤) يعني كبر السن ، وطول العمر .
(٥) جمع الجواهر ص ٢٨٢ . والفقرة الأولى في زهر الآداب ج ٤ ص ٤٩ . والفقرة الأخيرة في نور القبس ص ٣٢٢ ، ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ١٤٨ .
(٦) نور القبس ص ٣٢٢ . شرح المقامات ج ٤ ص ٨٤ .

أنشدني أبو العيناء (١) :

ما في يديَّ من الصِّبا إلا الصُّبابَةُ والأسَفْ
جاء الشبابُ فما أقا م ، ولا ألَمَّ ولا وقَفْ
كان الشبابُ كزائرٍ ملَّ الزيارة وانصرف

ولم يكف أبو العيناء عن الإفادة وحضور المجالس ، ورواية الأخبار ، ومسامرة الكبار إلى ما بعد بلوغ التسعين أو قل إلى حين وفاته نستدل على ذلك بمقالته للمتوكل التي سبق إيرادها ، وبأنه كان يتردد إلى بلده البصرة في ذلك حتى وفاته وذلك كما في هذا النص الذي سجل ما دار في مجلس فيه أبو العيناء عام ٢٨١ أي قبل وفاة أبي العيناء بسنة أو سنتين . وذلك في حديث أبي الحسن المهراني أنه قال : قدمت البصرة في شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين فجمعني وأبا العيناء مجلسٌ عند رجل من عُدُول البصرة : فَحَدَّث أبو العيناء — وكان أديباً ظريفاً شاعراً — بحديث من أحاديث البرامكة ذهب عني ، وكان المجلس غاصّاً بِمَنْ فيه ، فلم يجبه أحد مِمَّنْ كان حاضراً عن حديثه ، فقلت أنا : حدثني يزيد بن محمد المهلبي ، حدثنا عبد الصمد بن المعذّل ، قال : حدثني الأصمعي ، قال : قال لي يحيى بن خالد البرمكي : يا أبا سعيد ، ألكَ وَلَدٌ ؟ قلت : نعم ، أعزَّ اللهُ الأمير . قال : لِحرائرَ ، أم أُمَّهَاتِ أولادَ ؟ قال : قلت : لا مُهَّات أولاد . قال : ما أثمانُهنَّ ؟ قلت : ما بين الأربعين إلى الثلاثين ، قال : ليس هؤلاء ولد ، هؤلاء عبيد ، هل لك في جارية نَهَبُها لك ، فتطلب منها الولد ؟ قلت : نعم ، أعَزَّ الله الأمير ، قال : قولوا لفلانة تخرج . قال : فطلع القمر يمشي ، فقال : يا هذه ، قد وهبناك لأبي سعيد ،

---

(١) الأمالي ج ٢ ص ٩٠ – ٩١ .

فأرسلت عينها [1] ، فَرَقَّ لها ، فقلت في نفسي : إما أن تفوتني واما أن أفجعه بها ، فقال لي : يا أبا سعيد ، هل لك في الفِداء ؟ قلت : نعم ، أعزّ الله الأمير ، فقال : هاتوا ألف دينار ، قال ، فجيء بالمال ، فقال الخادم له : إحمله مع أبي سعيد ، فخرج معي الخادم بالمال ، فلما صرنا في الدهليز قال لي الخادم : يا أبا سعيد ، أظننتَ أن الأمير يهب لك الجارية ؟ قلت : نعم ، قال : إنّما أراد أن يُفَزِعها بك ! [2] .

* * *

---

(١) أرسلت عينها : أي بكت .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٧ – ١٨٨ .

إصابةُ أبي العيْناء بالعمَى

أصيب أبو العيناء في بصره فعمي حتى أصبح عماه مشهوراً جعله ينظم في سلك مشاهير العميان كما فعل الصفدي ، حتى قيل في عماه شعراً ، وقال هو فيه شعراً اشتهر من بعده . ولكن هناك أسئلة عدة تتعلق هذا الموضوع .

وهي : متى عمي ؟ وكيف كانت حال عينيه قبل العمى ؟ وما سبب عماه ؟ وهل العمى أمر وراثي في أسرته .

لقد نص أكثر المؤرخين على أن أبا العيناء عمي بعد أن بلغ أربعين سنة (1) .

واشتهر بعماه حتى عُدَّ في أشراف العميان (2) .

وكان قبل أن يصاب بالعمى أحول ، وربما كان الحول في عينيه كلتيهما على أنه ورد في شعر قيل فيه ورواه هو بنفسه أنه أحول العين ، ولكن ربما كان المراد من إضافة الحول إلى العين جنس العين لا إفراد أحد العينين دون الأخرى .

قال الإمام المرزباني (3) : قال لي أبو العيناء الضرير : مدحني أبو العالية :

---

(1) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٠ .

(2) الغيث المنسجم ج ٢ ص ٣٢٨ .

(3) هو محمد بن خلف بن المرزبان المتوفي عام ٣٠٩ وهو ممن أخذ عن ابن العيناء وطبع له من الكتب (فضل الكلاب ، على كثير ممن لبس الثياب) ترجمت له في مقدمة كتابي « الثقلاء » . وهو غير محمد بن عمران المرزباني صاحب معجم الشعراء .

كُتِبَتْ لابن قاسم مأثرات فهو للخير صاحب وقرينُ
أحول العين ، والمَوَدَّةُ زَيْنٌ لا احولالٌ بها ولا تلوين
ليس للمرءِ شانٌ حَوَلُ العينِ إذا كان فعله لا يَشين

قال محمد بن المرزباني : فقلت لأبي العيناء : يا أبا عبد الله ، وكنت قبل أن يذهب بصرُكَ أحْوَلَ ؟ مِنْ حَوَلٍ إلى عَمَى ؟ مِنْ سُقْمٍ إلى بَلاَ ؟ فقال لي : ما صعد إلى السماء اليوم أشنع من هذا [1]

وذكر أبو العيناء حول نفسه حين قال :

ذُكِرْتُ لبعض القِيان [2] فعشقتني على السَّمَاع . فلما رأتني استقبحتني ، فقلتُ :

وشَاطِرَةٍ لما رأتني تَنَكَّرَتْ وقالت : قبيحٌ أحْوَلٌ ما له جِسْمَ
فان تُنكري مني احْوِلالاً فإنني أديبٌ أريبٌ لا عييٌّ ولا فَدْمُ

فكتبتْ إليَّ : إنَّا لم نُرِدْ أن نُوَلِّيَكَ ديوان الزمام [3] وروي أنها قالت :

ـ ألديوان الرسائل أرَدْتُكَ ؟ .

وقال في حوله أيضاً [4] :

حَمِدْتُ إلهي إذْ بلاني بحبها على حَوَلٍ يغني عن النَّظَرِ الشَّزْرِ
نظرتُ إليها والرقيبُ يَظُنُّني نَظَرْتُ إليه ، فاسترحت من العُذْرِ

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٥ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٠ مع اختلاف في اللفظ . ونكت الهميان ص ٢٦٦ .
(٢) القينة : الجارية المغنية .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ١٩٩ . وجمع الجواهر ص ٢٨٢ وذيل الأمالي والنوادر ص ٩٥ . وهي في محاضرات الراغب (ج ٢ ص ٩٠) بلفظ آخر) .
(٤) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٢ ونكت الهميان ص ٢٦٦ .

أما سبب عماه فقد أرجع إلى أشياء لا يأخذها العقل مأخذ القبول المطلق وهي دعاء بعض الصالحين على أحد أجداده وعلى نسله الذين منهم أبو العيناء بالعمى ، وذلك لأن من نسله أناساً أبرياء لا يؤخذون بجريرة أجدادهم إن صح أن جريرتهم تقتضي أن يكون عقابهم عليها عمى البصر ، إذْ (لا تزر وازرة وزر أخرى) لا سيما إذا تذكرنا أن مقتضاها أن يستمر العمى في نسل أبي العيناء بل في نسل جدهم الذين لحق به الدعاء إلى يوم القيامة .

فقد أرجع أبو العيناء سبب عماه إلى أن جده خلاداً مولى الخليفة المنصور بعثه الخليفة ليكون عيناً على عبد الله بن حسن في المدينة فبلغ ما أراد . فدعا عليه وعلى نسله الذين منهم أبو العيناء بالعمى في قصة قدمنا إيراد نصها في فصل « اسمه ونسبه » .

* * *

وقيل في سبب عماه قول آخر وهو أن جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فأساء مخاطبته ، فدعا عليه ، وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب [1] وفي رواية ياقوت « فكل مَنْ عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم » [2] .

* * *

وروى البيهقي قال : قيل لأبي العيناء : ما بال العمى قد صار في صغاركم وكباركم حتّى إنه يلحق الطفل منكم ؟ فقال : نعم : الطينة الملعونة ، والدعوة المشؤومة . وذلك أنه سَلّمَ بعض الخلفاء رجلاً من آل أبي طالب إلى جدّنا الأكبر فقتله . ودعا عليه ، فلحقتنا دعوته : فما تراه بنا فهو من تلك الدعوة [3] .

---

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٣ونهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ وجمع الجواهر ص ٢٨٢ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٩ . ونكت الهميان ص ٢٦٥ . والغيث المسجم ج ٢ ص ٣٢٧ . وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .
(٣) المحاسن والمساوىء ص ٤١٧ .

والذي نراه في سبب عمى أبي العيناء ومن عمي من ذوي قرابته هو وجود استعداد وراثي للاصابة بمرض من أمراض العيون في أسرته . أو لنقل وجود ضعف وراثي في مقاومة أمراض العيون في ذلك العصر الذي يكون سبب سلامة البصر فيه في الغالب هو قوة المقاومة للأمراض لا العناية الطبية الكافية .

* * *

ويصح القول ان من كان منهم كذلك فانه يكون معرضاً للاصابة بالمرض . أما من اكتسب مناعة ورثها من أخوال له أو من أقارب أبعدين ، فانه إذا لم يصب بالعمى لم يكن السبب هو عدم صحة نسبه في الأسرة ، وانما ذلك لما ذكرناه .

* * *

أثر العمى في نفسه كما وصفه

قال أبو العيناء : قال لي ابن أبي دؤاد – يعني القاضي – : مـــا أشدّ ما أصابك في ذهاب بصرك ؟ قلت : خلّتان ، يبدؤني قومي بالسلام ، وكنت أحب أن أبتدئهم ، وإنّي ربما حدّثتُ المعرض عني ، وكنت أحب أن أعرف ذاك فاقطع عنه حديثي ، قال ابن أبي دؤاد : أما مَن ابتدأك بالسلام فقد كافأته بحسن النية ، وأما مَنْ أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما وصل اليك من سوء استماعه (١) .

وتوصل أبو العيناء من الكلام على عماه إلى مدح الخليفة ، وذلك حين سأله الخليفة المتوكل فقال : يا أبا العيناء ، ما أشد ما عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك (٢) .

وروي عنه أنه استعمل ذلك في نادرة طريفة وذلك أن رجلاً قال له : ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه (٣) إلاّ عوّضه خيراً منهما . فما الذي عوّضك ؟ فقال أبو العيناء : أني لا أرى ثقيلاً مثلك (٤) .

وقد نظم ذلك في بيتين ذكر الوطواط أن أبا العيناء قالهما معتذراً عن عماه (٥) :

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٠ ونكت الهميان ص ٢٦٥ .
(٢) شرح المقامات للشريشي ج ١ ص ١٤٤ . وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠١ وغرر الخصائص ص ١٠١ والديارات ص ٥٤ .

قالوا : العمى منظر قبيح قلتُ بفقدي لكم يَهُونُ
واللهِ ما في الأنام حُرٌ تأسى على فقده العيونُ

وفي عماه يقول هو نفسه شعراً :

إنْ يأخذ الله مِنْ عَيْنَيَّ نورهما
فني لساني وسمعي منهما نور
قَلْبٌ ذكيٌّ ، وعَقْلٌ غير ذي خَطَلٍ
وفي فمي صارمٌ كالسيف مأثور [1]

ويقول فيه أحمد بن أبي طاهر يخاطبه أي : يخاطب أبا العيناء كما أورد ذلك الخطيب :

كنا نخاف من الزمان عليك إذْ عمي البَصَرْ
لَمْ تَدْرِ أنك بالعمى تَغْنَى ، ويفتقر البَشَرْ

ولا شك أن أحمد بن أبي طاهر لم يكن يجهل أن السّرَّ في استغناء أبي العيناء بعد أن كف بصره ، واستمرار منزلته في ارتفاع وسمو عند الناس خاصتهم وعامة أدبائهم كان مرجعه إلى شخصية أبي العيناء وليس لعماه ولكنه أخرج ذلك مخرج الدعابة وذكر الشيء المستغرب .

وقد روي عن محمد بن مكرم الكاتب أنه سمع رجلاً يقول : مَنْ ذهب بَصَرُه قَلَّتْ حيلتُه ، قال : ما أغْفَلَكَ عن أبي العيناء ! [3] : ذهب بَصَرُهُ ، فَعَظُمَتْ حيلته [4] .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٢ ونكت الهميان ص ٢٦٧ . وقد نسبتها بعض المصادر لغيره . والديارات ص ٥٣ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٤ ونسبتهما بعض المراجع الى أبي علي الضرير كما في المقتبس ص ٣٢٣ .

(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٦ والغيث المسجم ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ .

وقال المُبَرِّد : إنّما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نَيَّفَ على الأربعين ، وخرج من البصرة ، واعْتَلّت عيناه ، فرُمِيَ فيهما بما رمى [1] .

وهذا يدل على أن عماه كان بعد خروجه من البصرة . وقد صرحت بعض المصادر بذلك فقال ابن العماد : خرج من البصرة وهو بصير ، وقدم سُرَّ مَنْ رأى [2] ، فاعْتَلّتْ عيناه فعمي ، وعاد إلى البصرة ومات بها [3] .

* * *

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٩ ونكت الهميان ص ٢٦٥ .
(٢) هي البلدة التي أصبحت تسمى حتى الآن (سامرا) .
(٣) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .

صِفاتُ أبي العَيْناءِ البَدنيّة

تكلم الأقدمون على كثير من صفات أبي العيناء الخُلُقية ، - بضم اللام - وأغفلوا - بقدر ذلك أو بأكثر منه - الكلام على صفاته الخَلْقيّة - باسكان اللام . فلم نجد إلا النزر اليسير .

فهو كان أحول إلى أن بلغ الأربعين ثم عمي . كما سبق بسطه .

وهو من ذوي اللحى التي تستحق الذكر ولا نستطيع أن نقول : إنه كان ألحى . لأن الأولين ذكروا لحيته في معرض الكلام على صبغها ، وليس في معرض الكلام على مقدار شعرها . فقد ذكر الإمام الخطيب في آخر ترجمته أنه كان ضريراً يخضّب بالحمرة خضاباً ليس بالمشبّع .

فهو ذو لحية يخضبها بالحمرة ولكنه لم يكن يبالغ في ذلك الخضاب ، وكونه يخضبها بالحمرة دليل على أنه لم يكن يخضب لحيته ليتصابى ، لأن الخضاب بالحمرة لغير شقر الوجوه لا يستّر عنهم شيب الشعر ، وإنما يتقى به من ترك الشعر أبيض ، دون تغيير .

وهو ليس بذي الجسم الطويل وربما كان قصيراً إذ كان يشعر بأنه لا يمكن أن يفاخر بقامته بل إنه ليشعر بأن قامته قد تكون أقلّ من المتوسط ، كما أنه يشعر بأنه ليس بوسيم الجسم ، طرير الوجه ، حلو التقاسيم ، هذا ما نستشفه من قطعة شعرية له ستأتي كاملة في فصل الكلام على شعره ويقول منها :

وإلاّ يكُنْ عظْمِي طويلاً ، فإنني
له بالخصال الصالحات وَصُـــولُ

إذا كنتَ في القوم ِ الطّوال فضَلْتُهُمْ
بِطَوْلي لهم حتى يقال : طويـــــل
ولا خير في حُسْنِ الجُسُوم وطولها
إذا لم يَزِنْ طُولَ الجسوم عقُــولُ
وكائن رأينا من جُسُومٍ طَوِيلَـةٌ
تموت إذا لم تُحْيِهِنَّ أصــولُ

فهو يقول : إنه إذا كان في القوم الطّوال الأجسام فانه لا يستطيع أن يدّعي أنه مثلهم بجسمه وانما يفضلهم بطوله وهو بفتح الطاء : الفضل والمعروف لا بطوله — بضم الطاء — .

والدليل على أنه ليس بطويل الجسم وعلى أنه ليس بوجيه الطلعة ذلك القول الذي ذكر هو نفسه أن قينة قالته له ، ولم ينكر ذلك إلا أنه افتخر بعقله وأدبه وذلك في بيته :

وشاطرةٍ لـــا رأتني تنَكّــرَتْ
وقالَتْ : قبيحٌ أحْوَلٌ ما لَهُ جِسْمٌ

من بيتين تقدما في (فصل عماه) .

* * *

شيوخه وتلاميذه

أخذ أبو العيناء العلم عن جم غفير من أهل البصرة حيث كانت حافلة بالعلماء بجميع فنون العلم المعروفة ومن غيرها ويمكن معرفة عددهم من استقصاء أسمائهم في كتب أهل العلم الذين أسندوا الأخبار والأشعار والنوادر من طريق أبي العيناء أو عنه ، ولكن ليس هذا موضع ذكرهم واستقصاء أسمائهم ويكفي أن نذكر منهم جماعة من فطاحل أهل العلم والأدب والأخبار مثل الإمام الحجة في أخبار العرب وأشعارها وأيامها أبي عبيدة معمر بن المثنى . والإمام أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، والإمام ابي عاصم النبيل ، والإمام أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري صاحب النوادر في اللغة ، ومحمد بن عبيد الله العتبي [1] . ثم إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وعمارة بن عقيل الشاعر ، والأديب المغنّي الشاعر اسحاق بن ابراهيم الموصلي والإمام اللغوي أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم .

أما مَنْ أخذوا عنه فربما كانوا أكثر من ذلك منهم الإمام الأديب الأخباري محمد بن يحيى الصولي ومنهم الأخباري المشهور محمد بن خلف بن المرزباني ، وأبو بكر الآدمي القاري ، وأحمد بن كامل القاضي وغيرهم [1] ،

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٠ .

وكذلك أخذ عنه الإمام محمد بن خلف المعروف بوكيع .

وناهيك بقول الحافظ الخطيب فيه : إنه انتقل إلى بغداد فسكنها وكتب عنه أهلها . فبهذه العبارة العامة تدل على وفرة من كتبوا عنه الأخبار وأخذوا عنه الأشعار ، ورووا منه الروايات ، بل وسمعوا منه الحديث من أهل بغداد دار السلام ، وعاصمة الإسلام في ذلك الوقت .

ولولا الخوف من الاطالـــة والإملال لأوردت قائمة وافية لمن أخذ عنه أبو العيناء ومن أخذوا عنه مع إيضاح ترجماتهم إلا أن ذلك أمر لا يدخل تحت شرط الكتاب .

* * *

منزلته عند أهل الحديث

أبو العيناء ممن طلبوا الحديث ورووه كما قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله : منشؤه بالبصرة . ومنها كتب ، ثم روى بسنده إلى أبي العيناء مسنداً إلى رسول الله ﷺ حديثاً غريباً تبين علائم الضعف عليه . ولكن ربما كان مصدر ضعفه من أبي العيناء أو منه ومن غيره ممن في سناده ، وهذا نصه كما رواه الخطيب :

أنبأنا الحسن بن أبي بكر ، حدثنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح حدثنا محمد بن القاسم النحوي أبو عبد الله — يعني أبا العيناء — حدثنا أبو عاصم عن ابي الهندي عن أنس ، قال : أتى النبي ﷺ بطائر فقال : اللهم آتني بأحب خلقك اليك يأكل معي ، فجاء عليّ ، فحجبته مرتين ، فجاء في الثالثة ، فأذنت له . فقال : يا علي ما حَبَسَكَ ؟ قال : هذه ثلاث مرات قد جئتها فحجبني أنَس ، قال : لِمَ يا أنس ؟ قال : سمعت دعوتك يا رسول الله فأحببت أن يكون رجلاً من قومي . فقال النبي ﷺ : الرجل يحب قومه . انتهى .

قال الخطيب : غريب بإسناده لم نكتبه إلا من حديث أبي العيناء محمد بن القاسم عن أبي عاصم ، وأبو الهندي : مجهول ، واسمه لا يعرف .

وكذلك روى الدارقطني حديثاً من طريقه عن علي بن الحسين قال : مثل أصحاب رسول الله ﷺ كمثل العين ، ودواء العين ترك مَسّها ، وقال الدارقطني لم يروه غير أبي العيناء انتهى . لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٦ .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧١ .

وأبو العيناء روى الحديث ولكنه مقل منه كما قال الخطيب أيضاً بعد أن ذكر بعض من روى عنهم الحديث والأخبار : إنه لم يسند من الحديث إلا القليل ، والغالب على روايته الاخبار والحكايات [1] . وقال الحافظ بن كثير : له معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح أما الحديث فليس منه إلا القليل [2] وقال ابن الجوزي : مسنداته قليلة ، والغالب على رواياته الحكايات [3] .

فهل كان أبو العيناء ثقة عند أهل الشأن في الحديث في ذلك القليل الذي أسنده منه ؟

إننا إذا أخذنا بقول الإمام المحدث الناقد أبي الحسن الدارقطني فإننا لا نستطيع أن نجزم بذلك قال الدارقطني : أبو العيناء ليس بقوي في الحديث [4] .

ولكن هذه العبارة من الإمام الدارقطني هي عبارة لينة في تجريح الرواة ، تقال فيمن لم يشتهر بالوضع ، ولم يبلغ درجة عظيمة من ضعف الرواية . وذلك ما لا يتفق مع ما حدّث به أبو العيناء عن نفسه من وضعه الحديث في رواية لا أكاد أصدق ما جاء فيها لأنه أولاً اعتراف صريح بالوضع ، وثانياً لأنها لا تتناسب مع كلمة الدارقطني فيه ، ولا مع سكوت الإمام الخطيب البغدادي عنه وهما من هما في معرفة هذا الشأن .

وهذا نص الرواية [5] :

قال أبو العيناء : وضعت أنا والجاحظ حديث فدك ، وأدخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه ، إلا ابن شيبة العلوي قال : لا يشبه آخر هذا الحديث

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٠ ، ونكث الهميان ص ٢٦٦ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٢ . ونكث الهميان ص ٢٦٦ والمنتظم ج ٥ ص ١٦٠ .
(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ٧٣ .
(٤) المنتظم ج ٥ ص ١٥٧ .
(٥) ذكرنا تخريجها في فصل (تدينه) .

أولـهُ . فأبى أن يقبله . وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان . وفي لسان الميزان : إن أبا العيناء كان يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ [1] .

ان هذا الاعتراف بوضع حديث ربما يشهد له وضع خبر أدبي اعترف أبو العيناء بوضعه ولكن وضع الأدب الإخباري أو الخبر الأدبي ليس كوضع الحديث الديني بطبيعة الحال ، كما أن أسلوبه في وضع هذا الخبر معروف للجميع .

قال أبو العيناء : لما حبس الواثق ــ الخليفة ــ ابراهيم بن رياح ، وكان لي صديقي صنعت له هذا الخبر ــ راجياً أن ينتهي إلى أمير المؤمنين فينتفع به : فأخبرني زيد بن علي بن الحسين أنه كان عند الواثق حين قرىء عليه ، فضحك واستظرفه وقال : ما صنع هذا كلّه أبو العيناء إلا بسبب إبراهيم بن رياح وأمر بتخليته .

والخـــبر :

قال : لقيت أعرابياً من بني كلاب ، فقلت له : ما عندك من خبر هذا العسكر ؟ فقال : قتل أرضاً عالمها .

فقلت : فما عندك في خبر الخليفة ؟ قال : بخبخ في عزّه ، وضرب بجيرانه وأخذ الدرهم من مِصْره ، وأرعف قلم كُلِّ كاتب بجبايته .

قلت : فما عندك في أحمد بن أبي دؤاد ؟ (القاضي) قال : عضلة من العضل لا تطاق ، وجندلة لا ترام .

إلى أن قال : قلت : فما عندك في خبر ابن الزّيّات ؟ قال : ذلك رجل وسع الورى شرُّه ، وبطن بالأمور خيره ، فله في كل يوم صريع لا يظهر فيه أثر ناب ولا مخلب إلا بتسديد الرأي .

---

(1) « لسان الميزان » ج ٥ ص ٣٤٦ .

قال : فما عندك في خبر ابراهيم بن رياح ؟ قال : ذاك رجل أوبقه كرمه ، وان بقره للكرام قدح ، فلا عز بهجائه ، ومعه دعاء لا يخذله ، وربٌ لا يُسْلِمُهُ ، وفوقه خليفة لا يظلمه .

إلى هنا وصل أبو العيناء إلى ما أراد من وضع هذا الخبر وهو الثناء على ابن رياح ثناءً يجعل الخليفة يغير رأيه فيه . إلى أنه مضى يذكر بعض أعيان الدولة وقوادها بما يشبه ما ذكر من قبلهم قبل ابراهيم بن رياح (١) .

واذا تجاوزنا عصر الأئمة الكبار من سلف أهل الحديث أهل الجرح والتعديل إلى مَنْ بعدهم من الحفاظ فإننا نجد الإمام الحافظ الذهبي ينظم أبا العيناء في سلك الضعفاء في الحديث ولكنه لم يزد على ما روى في تضعيفه عن الدارقطني قال الذهبي : محمد بن القاسم أبو العيناء ، إخباري مشهور . قال الدارقطني : ليس بقوي في الحديث (٢) .

ورغم ما ذكر من حاله فقد عرف عنه حرصه على رواية الحديث وذلك في القصة التالية التي ذكرها الحافظ الخطيب في ترجمته . فقد روى بسنده عن أحمد بن كامل القاضي قال : أنبأنا أبو العيناء محمد بن القاسم قال : أتيت عبد الله ابن داود الخريبي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : الحديث (٣) قال : اذهب فتحفظ القرآن . قال : قلت : قد حفظت القرآن ، قال : اقرأ : « واتلُ عليهم نبأ نوح » . قال ، فقرأت العُشْرَ حين أنفدته ، قال : فقال لي : اذهبْ الآن فتعلم الفرائض ، قال : قلت : قد تعلمت الصُلْب(٤) والجد والكبر (٥) ، قال : فأيما أقرب اليك ؟ : ابن أخيك أو ابن عمك ؟

---

(١) زهر الآداب ج ٣ ص ٧٦ – ٧٧ .
(٢) المغني في الضعفاء ج ٢ ص ٦٢٥ .
(٣) أي : ابتغاء طلب الحديث وروايته .
(٤) يراد بالصلب : الأولاد لصلب الرجل الميت .
(٥) يقول محشيه : كذا بالأصل ولعلها الكبر .

قال : قلت : ابن أخي . قال : ولم ؟ قال : قلت : لأن أخي من أبي ، وعمي من جدي ، قال : اذهبْ الآن فتَعلّم العربية . قال : قلت : علمتها قبل هذين . قال : فلِمَ قال عمر بن الخطاب – يعني حين طعن – يالَ الله يالِ للمسلمين : لِمَ فَتَحَ تلك وكَسَرَ هذه ؟ قال : قلت : فتح تلك اللام على الدعاء ، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار . قال : فقال : لو حَدَّثْت أحداً حدثتك [1] .

ان هذه القصة تدل على حرصه على أخذ الحديث وروايته عن العلماء المشهورين به .

* * *

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٢ . والديارات ص ٥٧ . والمنتظم ج ٥ ص ١٥٧ وملخصها في لسان الميزان ج ٥ ص ٢٤٦ .

بلاغة أبي العيناء

فصاحة أبي العيناء مشهورة مذكورة ، بل ربما كان من أهم ما يتميز به الفصاحة مع الجرأة وحضور البديهة .

قال ياقوت : كان أبو العيناء فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم ، آية في الذكاء واللّسَن ، وسرعة الجواب [١] .

وقال ابن خلّكان : كان أبو العيناء من أحفظ الناس ، وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللّسنِ ، وسرعة الجواب والذكاء ، ما لم يكن في أحَدٍ من نظرائه [٢] .

وقال ابن النديم : كان أبو العيناء فصيحاً بليغاً حاضر الجواب ، سريع الإجابة [٣] .

وقال المرزباني : كان فصيحاً ، سريع الجواب [٤] .

وعد القلقشندي ممن كان كل واحد منهم فرداً في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله أبا العيناء في الأجوبة المسكتة [٥] .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٦ .
(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٣) الفهرست ص ١٨٧ .
(٤) نور القبس ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .
(٥) صبح الأعشى ج ١ ص ٤٥٤ .

وهذه نماذج من بلاغة أبي العيناء الموجزة :

قال في رجل تولى ولاية :

لولا أن القدر يُعْشِي البصر ، لما نَهَى ولا أمَرَ [1] .

وقال أبو حيان : قال أبو العيناء في رجلين : أفسدَ ما بينهما : تنازعا ثوب العقوق حتى صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر [2] .

وقيل لأبي العيناء : هل ظَفِرْتَ بصديقٍ مُوَالٍ ؟ قال : ولا بعدُوٍّ مُرائي [3] !

أنظر هذه المقابلة في اللفظ : يسأله السائل : عما اذا كان قد ظفر بصديق ذي ولاء صادق له ، فيجيبه بأنه لم يظفر حتى بعدو مرائي أي : يظهر له الولاء ويبطن له العداء من باب الرياء والمنافقة . وإنما عدوه يكاشفه بالعداوة ، ويجاهره بالبغضاء .

وقال الإمام ابن الجوزي : بلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبيد الله بن سليمان [5] فقال : ألم نكن كتبنا لك إلى فلان ، فما فعل في أمرك ؟ قال : جَرَّني على شوك المطل ! قال : أنت اخترته ! قال أبو العيناء : وما عليَّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة ، واختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مُرْتَدّاً ، واختار عليٌّ أبا موسى فحكم عليه [6] !

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٥١ .

(٢) رسالة الصداقة والصديق ص ٢٨ ، والعبارة فيها اضطراب فيما ظهر لي واوردناها لأجل الفقرة الأخيرة ولعل كلمة العقوق ملحقة في مكان كلمة الحقوق أو نحوها .

(٣) رسالة الصداقة والصديق ص ٨٠ .

(٤) رزقه : بفتح الراء : ما يدفع له من المال ، أو ما يقابل المرتب بلغة هذا العصر .

(٥) هو الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب .

(٦) كتاب الأذكياء ص ١٠١ وأخبار الظراف والمتماجنين ص ٧٣ . والمنتظم ج ٥ ص ١٥٨ .

وشكا بعضُ الوزراء كثرة الأشغال فقال أبو العيناء : لا أراني الله يوم فراغك [1] .

يريد الدعاء له بألا يذيقه الله ذلة العزل والبطالة .

وأورد الحافظ الخطيب عن أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الخاركي البصري قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء يعزّي جدّي أبا بكر بن عدي على زوجته فاطمة بنت الحسن بن عمران بن ميسرة ، فقال : إذا كان سيدُنا - أدام الله عزّه - البقيّة ، ودفعت عنه الرزية ، كانت التعزية تهنئة ، والمصيبة نعمةً ، ثم جلس وأنشد :

نحن ومَنْ في الأرض نفديكـا لا زلتَ تَبْقى ونُعَزّيكا [2]

وقيل : إنه عزى بعض الأمراء ، فقال : أيها الأمير ، كان العزاء لك لا بك ، والعناء لنا لا لك ، وإذا كنت البقية ، فالرزية عطية ، والتعزية تهنئة [3] .

وعزّى أبو العيناء القاضي أحمد بن أبي دؤاد عن ولد له فقال : ما أصيب ، مَنْ أثيب ، والله لقد هان لفقده ، جليلُ المصائب من بعده [4] .

وقال عبد الله بن يحيى لأبي العيناء : كيف كنت بعدي ؟ قال : في أحوال مختلفة ، شرُّها غيبتك ، وخيرُها أوبتُك [5] .

وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٠ . وزهر الآداب ج ١ ص ٣٣٠ ومعجم الأدباء ج ٨ ص ١٧٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ .

(١) المصدر نفسه .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٧ .

(٤) زهر الآداب ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٥) البصائر والذخائر ج ٢ ص ١٦٠ (طبع دمشق) .

وقال لمحمد بن خالد : لئن كان آدم أساء إلى نفسه في إخراجها من الجنة لقد أحسن الينا أنه وَلَدَ مِثْلَكَ [1] .

وقال أبو العيناء : كلام ابن المُقفّع صريح ، ولفظه فصيح ، وطبعه صحيح ، كأنَّ كلامه لؤلؤ منثور ، أَوْ وَشْيٌ منشور [2] أَوْ روض ممطور [3] .

وقيل لأبي العيناء : ما تقول في الحسن بن سهل ، فقال : خَلَفَ آدم في ذريته فهو ينقع غَلَّتَهُم ، ويَسُدُّ خَلَّتَهُمْ ، ولقد رفع الله من الدنيا قدرها ، وأعلى شأنها ، إذ جعله من سكانها [4] .

وقال أبو العيناء يوماً لعبيد الله بن سليمان — الوزير — وقد رفعه : إلى كَمْ ترفعني ، ولا ترفع بي رأساً [5] ؟

وقال له الخليفة المتوكل : يا أبا العيناء : ما تُحْسِنُ ؟ قال : أَفْهَمُ وأُفْهِمُ [6] !

وحدث أبو العيناء قال : قال لي الخليفة المنتصر يوماً : ما أَحْسَنُ الجوابِ؟ فقلت : ما أَسْكَتَ الْمُبْطِلَ ، وحيَّرَ المُحِقَّ [7] .

وقال له المتوكل يوماً : أكان أبوك في البلاغة مِثْلُك ؟ فقال أبو العيناء : لو رأى أميرُ المؤمنين أبي لرأى عبداً له لا يرضاني عبداً له [8] .

وهذه إشادة من الخليفة المتوكل ببلاغة أبي العيناء واهتماماً منه بمصدر تلك

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الوشي :
(٣) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٣٦١ (طبع دمشق) .
(٤) كنايات الأدباء للجرجاني ص ١٢٠ .
(٥) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٣ .
(٦) زهر الآداب ج ١ ص ١٩١ . وجمع الجواهر ص ١٥٨ .
(٧) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٧ . وزهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠١ .
(٨) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٩ . ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٦ .

البلاغة أهي عن وراثة أم عن موهبة خاصة به .

ودخل أبو العيناء على عبيد الله بن سليمان ـ الوزير ـ فقال : اقرب مني يا أبا عبد الله ، فقال : أعزّ الله الوزير ، تقريب الأولياء ، وحرمان الأعداء ، قال : تقريبك غنم ، وحرمانك ظلم ، وأنا ناظر في أمرك نظراً يُصْلِح من حالك ، إن شاء الله [1] .

وحجبه بعض الأمراء ، ثم كتب إليه يعتذر منه ، فقال أبو العيناء : تحجبني مشافهةً ، وتعتذر إليّ مكاتبةً [2] .

قال الوزير عبد الله بن سليمان بن وهْب يوماً لأبي العيناء : قد أمرنا لك بشيء في هذا الوقت ، فخذه واعْذُرْ . قال أبو العيناء : لا أفعل ، أيها الوزير ، إذا كنت في النكبة تعذر ، وفي الدولة [3] تعتذر ، فمتى لا تعتذر [4] ؟.

وذكر أبو العيناء ميمون بن ابراهيم ، فقال : لو تأمل رَجُلٌ أفْعَالَهُ فاجتَنَبها ، لاستَغْنَى عن الآداب أن يطلبها [5] .

يريد أن أفعاله جامعة لفنون الرذائل التي لا تليق بأديب . وهذا نهاية البلاغة في الذم .

حَمَلَ بعضُ الوزراء أبا العيناء على دابّة . فانتظر عَلَفَها ، فلما أبطأ عليه ، قال : أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليها ، أو حملتها عليّ [6] ؟

ولَمّا وُكِّلَ موسى بن عبد الملك الأصبهاني بنجاح بن سلمةَ ليَسْتَأديه

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٧ .
(٣) الدولة يريد بها : زمان توليه الوزارة .
(٤) الديارات ص ٥٤ .
(٥) الدارات ص ٥٥ .
(٦) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٠ ونكت الهيمان ص ٢٦٦ .

ما عليه من الأموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمة في المطالبة والعقاب [1] فلَقِيَ بعضُ الرؤساء أبا العيناء وقال له : ما عندك مِنْ خبر نجاح بن سلمة ؟

فقال أبو العيناء : « فوكزه موسى فقضى عليه » فبلغت كلمته موسى فلقيه وقال له : أبي تُولعُ ؟ والله لأقومَنّك . فقال له أبو العيناء : (أتريد أنْ تَقْتُلَني كما قَتَلْتَ نَفْساً بالأمس) [2] ؟ .

وقال الثعالبي : كان أبو العيناء يقول : لو نَشَرَتْ أم جَعْفر ضفائرها ما تَعَلّقَتْ إلا بخليفة أو ولي عهد [3] .

تكلم ابن ثوابة عند أبي العيناء ثم غلط في آخر كلامه ، فقال أبو العيناء : تَرَقّعْتَ حتى خِفتُكَ ، ثمّ تَخَفّضْتَ حتى عِفتُك [4] .

وقيل : لقي أبو العيناء أبا الصقر الوزير في صدر موكبه فقال : طاعَةُ شِيَمك ، لسلطان كَرَمِك ، ألزمتك الصبر على ذنوبي إليك ، وتجنّي خلقي عليك ، فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له ، وانصرف شاكراً [5] .

ودخل أبو العيناء على عبيد الله بن سليمان – الوزير – فضمّه إليه ، فقال أبو العيناء : أنا إلى ضَم الكفاية [6] أحوج مني إلى ضم اليدين [7] .

---

(١) ورد في ابن خلكان أن ذلك كان لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٥ وانه في تلك الليلة بلغ المعتز بالله بن المتوكل الخبر .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٥ ووفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٦٩ ونكت الهميان ص ٢٦٨ .

(٣) لطائف المعارف ص ٨٢ ويريد بذلك كثرة الخلفاء من أقاربها وهي زبيدة أم الأمين .

(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٩ .

(٥) نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ .

(٦) أي : انني أحوج إلى أن تكفيني أمري بالعطاء من أن تضمني بيدك اظهاراً لحبك لي .

(٧) زهر الآداب ج ٢ ص ٢١٩ .

وذكر أبو العيناء محمدَ بنَ يحيى بن خالد بن برْمَك فقال : بأبي وأمّي ، دام الوجهُ الطلقْ ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيته أفضل من علانيته ، وفعله أفضل من قوله [1] .

وقال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى : مَسّنَا وأهْلَنا الضُّر ، وبِضاعَتُنا الحمد والشكر ، وأنت الذي لا يخيب عنده حر [2] .

وقَال له أبو العيناء يوماً : قد اشتَدّ الحجاب ، وفَحُش الحرْمانُ ، فقال : ارفق يا أبا عبد الله فقال أبو العيناء : لو رفق بي فعلك ، لرفق بك قولي ، وقال له : أيها الوزير : إذا تغافل أهل الفضل ، هلك أهل التجمّل [3] .

وذم أبو العيناء رجلاً ، فقال : لا يعرف الحقّ فيَنْصُرَه ، ولا الباطل فيُنْكِرَهُ [4] ، وقيل له : مات الحسن بنُ سَهْلٍ ، فقال : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطال بكاء الباكين ، والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخَرِسَتْ لفقده الأقلام [5] .

ودخل أبو العيناء يوماً على عبد الرحمن بن خاقان ، وكان يوماً شاتياً [6] فقال له عبد الرحمن : كيف ترى هذا اليوم يا أبا عبد الله ؟ فقال أبو العيناء : تأبى نعماك أن أجِده [7] .

ودخل أبو العيناء على اسماعيل القاضي ، وأخذ يردُّ عليه إذا غلط في اسم رجل ، وكنية آخر ، فقال له بعض منْ حضر : أتَرُد على القاضي أعزّه

---

(١) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .
(٢) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .
(٣) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .
(٤) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) شاتياً : شديد البرد .
(٧) البصائر والذخائر ج ١ ص ٨٦ .

الله ؟ قال : نعم ، لِمَ لا أردُّ على القاضي وقد رَدَّ الهُدهُدُ على سليمان وقال : « أحَطْتُ بما لَمْ تُحِطْ به » وأنا أعلم من الهدهد ، وسليمان أعلم من القاضي [1] .

دَخَل أبو العيناء على أحمد بن عَلِيّ وقد صُرِفَ [2] عن ولايته فقال أبو العيناء : إنْ صُرِفْتَ عن عملك ، لَمْ تُصْرَفْ عن كرمك ، فأمر له بمـــال [3] .

وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر : أنت والله تقرب منا إذا احتجنا اليك ، وتبعد منا إذا احتجت الينا [4] .

قال أبو العيناء لبعض الولاة : إذا سألنا الولاة كَفَّ الأذى ، سألناك بَثَّ النّدَى ، وإذا سألناهم الإنصاف سألناك التفَضُّل [5] .

وقال ابن المعتز : حدثني أبو سليمان العكبري قال :

دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال : أصلح الله الوزير ، لا أستقل قليلك ، ولا أستكثر كثيرك ، قال له : ولِمَ ؟ قال أبو العيناء له : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك ، فأعجب بكلامه ، وقال : اكتبوه ، وزيدوا خمسة آلاف أخر [6] .

وقال الراغب الأصفهاني – في عذر تخفيف الزيارة – قال أبو العيناء : سلام معظِّم ، وجلوس مخفّف . وانصراف متأسف [7] .

---

(١) البصائر والذخائر ج ٢ ص ١٥٩ .
(٢) صرف : عزل .
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٣ .
(٤) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٥ .
(٥) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٢٤٦ .
(٦) طبقات الشعراء ص ٤١٥ .
(٧) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٦ .

وقال له يوماً عبيد الله بن يحيى بن خاقان : قد تبينت فيك الغضبَ يا أبا عبد الله. فقال له أبو العيناء : قد أجَلَّ الله قدرك من غضبي ، إنما يغضب الرجل على مَنْ دونه ، فأما مَنْ فوقه فلا ، ولكن أحزنني تقصيرك ، فسمَّيْتَ حزني غضباً (١) .

وأدنى أبو الصقر – يوماً – أبا العيناء ورفعه ، فقال : تدنيني حتى كأني بَعْضُك ، أو تبعدني حتى كأني ضِدُّك (٢) .

وقال أبو العيناء للوزير صاعد بن مخلد : نحن في دولتك محرومون ، وفي عطلتك مرحومون (٣) .

وقيل لأبي العيناء : كيف وجدت فلاناً لما قصدتَهُ ؟ قال : وجَدْتُه لا يعود اليه حُرٌّ ! (٤) .

قال رجل لأبي العيناء : كان أبوك أكمل منك. فقال أبو العيناء : إنني كنت منه ، ولم يكن مني ، وهو أولى بالكمال مني (٥) .

قيل لأبي العيناء : ما حالك مع فلانٍ مُذْ تَولّى ؟ فقال : أنا معه غير جُندب – يعني قول الشاعر :

وإذا تكون كريهة أُدْعى لها وإذا يحاس الحَيْسُ يُدْعى جُنْدُبُ (٦)

وسأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر اليه ، وحلف انه صادق في اعتذاره فقال أبو العيناء : من كان الصدق (٧) حرمان صديقه كيف يكون كذبه (٣) .

---

(١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٢ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٦ .
(٥) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٧١ .
(٦) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٨ .
(٧) لعلها من كان صدقه .
(٨) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٨٩ .

وقال أبو العيناء : أعطاني فلان برّه تفاريق ، وعقوبته جملة [1] .

وذكر أبو العيناء الصحابة فقال : هم الذين جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة ، ونبّهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، فشفَوْا من داء الشقْوة ، وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العِيّ الفاضح ، ونهجوا سُبُلَ الطريق الواضح ، رحمةُ الله عليهم أجمعين[2]

وكان أبو العيناء يأتي في بعض الأحيان بسجعات غير متكلفة نلمسها في بعض كلامه وان لم تكن غالبة عليه مع أن السجع في ذلك العصر لم يصبح بعد علامة من علامات البلاغة كما حدث بعد ذلك .

ورغم ذلك فان بعضهم قد استغل استعمال أبي العيناء للسجع في كلامه لينال من بلاغته وهو في ذلك بلا شك عندي قاصد للهجاء غير جاد في القول ، ولا متجرد في الحكم لأن سجعات أبي العيناء ليست كذلك بل هي كالسهم الذي يصيب المرمى دون تشنج أو تكلف ، ولأنه يقول في آخر أبياته : انه لا بد له من هجاء أبي العيناء أساء أمْ أصاب .

والذي حاول النيل من أبي العيناء بسبب سجعاته هو احمد بن أبي طاهر في قوله [3] :

سَجْعُ أبي العيناء مِنْ رَجْعِه ... فلَعْنَةُ الله على سَجْعِه
كأنَّ من يَسْمَعُ ألفاظَه ... يُقْذَفُ صُمُّ الصَّخْرِ في سَمْعِه
قد طبع الله على قَلْبِه ... فالكفر مُسْتَوْلٍ على طبعه
لا تُكْثِروا فيه ، فلا بُدَّ لي ... أساءَ أو أحْسَنَ من صفعه

(١) البصائر والذخائر ج ٣ ص ١٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .
(٣) نور القبس ص ٣٢٣ .

اقتضاء أبي العيناء

إذا وعد أبو العيناء شيئاً فانه يتقاضى إنجازه تقاضياً ملحفاً يكون أحياناً بطريقة لطيفة لبقة ، ويكون أحياناً أخرى بطريقة ملحفة حسب حالة الشخص المسؤول .

وَعَدَ الوزير ابن المُدَبِّر أبا العيناء يوماً أن يعطيه بَغْلاً ، فلقيه في الطريق، فقال : كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ قال : أصبحتُ بلا بَغْلٍ ، فضحك منه ، وبعث به إليه [1] .

ووعده ابن المُدَبِّر مَرَّةً أخرى بدابّة ، فلما طالبه أبو العيناء ، قال ابن المُدَبِّر : أخاف أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك . فقال أبو العيناء : عِدْني أن تَضمَّ إليها حماراً لأواظِبَ مقتضياً [2] .

أرأيت أن أبا العيناء يجول في ذهنه أن يواظب على الاقتضاء حتى يحصل له ما يريد وما يمنعه عن المواظبة إلاّ عدم وجود حمار يركبه لذلك .

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني إلى تذكيرك ، ولستُ آمَنُ مع استحكام ثقتي بطَوْلك والمعرفة بعلوّ همتك ، اختِرامَ الأجل ، فإنّ

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٧ .
(٢) المصدر نفسه ونكت الهميان ص ٢٦٧ .

الآجالَ آفاتُ الآمال ، فَسَحَ اللهَ في أجلك ، وبَلَّغَكَ منتهى أمَلِك . والســلام [1] .

وقال له عبيد الله بن سليمان (الوزير) : اعذرني فإني مَشْغُول عنك ، فقال له أبو العيناء : إذا فَرَغْتَ لم أحتج إليك ، يعني : إذا عُزِلَ [2] .

وسأل ابراهيم بن ميمون حاجة ، فدفعه عنها ، واعتذر إليه ، وحَلَفَ له أنه صَدَقَهُ فقال أبو العيناء : والله لقد سَرَّني صِدْقُكَ . لِعَوَزِ الصدق عندك . فَمَنْ صِدْقُهُ حرمان ، كيف يكون كَذِبُهُ ؟ ! [3] .

ووعد أبو الصقر (الوزير) أبا العيناء بشيء فتقاضاه أبو العيناء فقال : غداً فقال أبو العيناء : ان الدهر كله غد ، فهل عندك وعد يخلو من المعاريض ؟

فقال رجل حاضر : قد استعمل المعاريضَ قوم صالحون ، حدثنا فلان عن فلان ، فقال أبو العيناء : مَنْ هذا الذي يُحدِّث في حِرْمانِنــا بالأسانيد ؟ ! [4] .

وحمل عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة ، فأخذها منه ابنه ـ أي ابن عبيد الله ، وقال : أبعث اليك بخير منها ، فتأخر عنه ذلك ، فلقيه فقال : ما خَبَرُك ؟ فقال : بخير ، يا مَنْ أبوه يحْمِلَ ، وهو يُرْجِل [5] فقال : أنْفِذ اليك بَغْلاً فارها بغير تأخرٍ، فتأخر عنه ثم لقيه ، فقال : كيف حالك يا أبا عبد الله ؟ قال أبو العيناء : راجلٌ، أصلحك الله ، فضحك وأنفذ اليه بغلاً زعم أبو العيناء أنه غير فاره [6] فكتب أبو العيناء إلى أبيه رسالةً

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٧ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٤ ونكت الهميان ص ٢٦٣ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٤ .
(٣) نكت الهميان ص ٢٦٩ والبصائر والذخائر ج ١ ص ٣٧ (طبع دمشق) .
(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٦٤ .
(٥) يرجل أي يحمل الراكب يسير راجلا .
(٦) جمع الجواهر ص ٣٥٢ .

ذكرنا ملخصها في فصل (رسائله) .

وسأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة فوعده ، ثم اقتضاه ، فقال : دونها المطر والطين ، قال أبو العيناء : فحاجتي إذاً صيفية [1] .

وسأل أبو العيناء صاعد بن مخلد — الوزير — كتاباً يكتبه إلى مصر . فجعل يقول : إلى مصر يا أبا العيناء،إلى مصر ؟ فقال أبو العيناء : وما استبعادك — أعزك الله — لي مصر ؟ والله لما في صناديقك أبعد عليّ مما في مصر [2] !

ودخل أبو العيناء على أبي الصقر الوزير مرة فَقَرَّب مجلسه وأدناه ، فقال : أيها الوزير : تقريب الولي ، وحرمان العدو ! [3] .

أي : انه يقربه كما يقرب وليّه وحميمه ، ولكنه يحرمه من العطاء كما يحرم عدوه . وهذه طريقة بارعة مؤثرة في الاقتضاء .

ومع ما أثر عن أبي العيناء من شدة التقاضي والالحاح في الاقتضاء فقد روي عنه أنه مَلّ ذلك مرة لا لترفع منه عن ذلك وانما ليأس من حصول ما أمله .

كما ذكر الراغب الأصبهاني أن أبا العيناء كان يجري عليه رَزْقٌ فتأخر عنه فتقاضاه مراراً ثم تركه ، وقال : لا حاجة لي فيه فهو رِق لا رَزْقٌ ، وبَلاءٌ لا عطاء ، ومحنة لا منحة [4] .

---

(١) البصائر والذخائر ج ٢ ص ١٦٠ .
(٢) الديارات ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٦١ .

بديهة أبي العيناء

لعل من أكثر ما اشتهر أبو العيناء في أجوبته هو حضور بديهيته ، وسرعة خاطره حتى كان يضرب به المثل في سرعة البديهة وممن فعل ذلك من الأقدمين أبو حيان التوحيدي وذلك من قوله يسخر بالصاحب بن عباد الوزير : قد استدرك مولانا على الخليل في العروض ، وعلى أبي عمرو بن العلاء في اللغة ، وعلى أبي يوسف في القضاء ... وعلى ابن سيرين في العبارة [1] وعلي (أبي العيناء) في البديهة ، الخ [2] .

وسخر أبو حيان التوحيدي من الصاحب بن عباد فقال انه قد استدرك على أناس بارزين في أشياء مِن ذلك قوله استدرك على أبي العيناء في البديهة [3] .

وقال الحافظ الخطيب البغدادي : كان من أحفظ الناس ، وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً ، وأحضرهم نادرة [4] .

ولم ينس تلميذه وأحد الرواة عنه أحمد بن كالل القاضي وهو يتكلم على وفاة أبي العيناء أن يقول : إنه كان فصيحاً سريع الجواب [5] .

وقال الحصري : كان أبو العيناء أحَدّ الناسِ خاطراً ، وأحضرهُمْ نادرةً ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً [6] .

---

(١) العبارة يراد بها هنا تعبير الرؤيا .
(٢) معجم الأدباء ج ٦ ص ١٣١ .
(٣) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٥٨ .
(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٠ .
(٥) المصدر نفسه ص ١٧٩ .
(٦) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٥ .

وقال ابن خلكان : كان أبو العيناء فيه من اللَّسَن ، وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه [١] . ومرجعه في ذلك المسعودي [٢] .

وقال ابن النديم : كان فصيحاً بليغاً ، حاضر الجواب ، سريع الإجابة [٣] .

ولشهرة أبي العيناء بالبديهة كان مما يميز به أهل البديهة بعد أن يشبَّهوا به . كما قال الحصري : كان سيبويه المصري يُشَبَّهُ بأبي العيناء في سرعة جوابه ، وجودة بديهته ، وكثرة روايته ، وكان الناس يتبعونه ، ويكتبون ما يقول [٤] وقال ابن الجوزي : كان أبو العيناء من أفصح الناس ، وأحفظهم ، وأسرعهم جواباً [٥] .

وقال الشريف المرتضى : كان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً ، وأجودهم بديهة ، وأملحهم نادرة [٦] .

وقال الحافظ بن حجر : كان أبو العيناء من اللَّسَن ، وسرعة الجواب على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه [٧] وقال الشابشتي : كان سريع الجواب ، حاضر النادرة لا يقام له [٨] .

وبديهية أبي العيناء حاضرة حتى بنظم الشعر :

وقال النويري : قال بعض الرؤساء لأبي العيناء : لو مُتَّ لرقص الناسُ طرباً وسروراً ، فقال أبو العيناء بديهةً :

---

(١) وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٢) مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٥ .
(٣) الفهرست ص ١٨٧ .
(٤) جمع الجواهر ص ٢٢٦ .
(٥) المنتظم ج ٥ ص ١٥٧ .
(٦) أمالي المرتضى ج ١ ص ٢٤٩ .
(٧) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ ومثل هذه العبارة وردت في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ١٩٦ .
(٨) الديارات ص ٦٠ .

أردت مذمتي فأجدتَ مدحي   بحمد الله ذلك لا بحَمْـــدكْ
فلاتك واثقـاً أبـداً بِعَمْدٍ   فقد يأتي القضاء بغير عَمدك

ثم قال : أجل ، الناس قد ذهبوا ، فلو رآني الموتى لطربوا لدخول مثلي عليهم ، وحلول عقلي لديهم ، ووصول فضلي إليهم ، فما زال الموتى يغبطونكم ، ويرحمونني بكم [1] .

وقال عبيد الله بن سليمان – الوزير – لأبي العيناء يوماً : أعذرني فإني مشغول ، فقال له : إذا فرَغتَ من شغلك لم نحتج إليك ، وأنشده :

فَلاَ تَعْتَذِرْ بالشُّغْـل عنَّا فإنَّما   تُناطُ بِكَ الآمالُ ماتَّصَلَ الشُّغْلُ

وأقبل اليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مطـارح الجفـاء [3] .

وقال له الخليفة المتوكل : ابراهيم بن نوح النصراني واجد عليك [4] .

فقال أبو العيناء : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهودُ وَلاَ النصارى حتى تَتّبِعَ مِلّتَهُمْ) [5] .

وقال له المتوكل أيضاً : ما بقي أحدٌ إلاّ اغتابك ، فقال :

إذا رضِيَتْ عنِّي كِرامُ عَشيرَتي   فلا زال غَضْباناً عَليَّ لئامها [6]

ولقيه رجل من إخوانه في السَحَر ، فجعل يعجب من بُكُورِه ، فقال أبو العيناء : أراك تشاركني في الفعل ، وتُفْرِدُني بالتعجب [7] .

---

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ وعندي ان فيها كلمات تلوح عليها آثار الصنعة .
(٢) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٣٥ .
(٤) واجد عليك أي يجد في صدره بعض البغض لك .
(٥) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٤ ونور القبس ص ٣٢٣ .
(٦) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٨٣ وهي في الديارات ص ٦٠ وزهر الآداب ج ١ ص ٣٢٤ بصيغة أخرى .
(٧) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٤٦ ونكت الهميان ص ٢٦٤ .

وحضر أبو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتفاوضوا حديث البرامكة ، وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء — وقد بالغ في وصفهم ، وما كانوا عليه من البذل والإفضال — : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الورّاقين ، وكذب المؤلفين ، فقال له أبو العيناء : فَلِمَ لا يكذب الورّاقون عليك أيها الوزير ؟ فسكت الوزير وعجب الحاضرون من إقدامه عليه (١) .

وهكذا أوردت أكثر المراجع هذه القصة واسم الوزيرفيها مبهم إلا التنوخي فإنه صرح بذكر اسمه وانه صاعد — يعني ابن مخلد — الذي له عدة أخبار مع أبي العيناء نقلها في فصولها وأورد التنوخي ما يدل على أن هذه الكلمة من أبي العيناء أصبحت مشهورة مذكورة فيما تلاه من زمن فقال التنوخي :

كنت بحضرة أبي مَخْلَد عبد الله بن يحيى الطَّبَريّ صاحب مُعِزّ الدولة فجرى ذكر الكرم والكرام ، والجود والأجواد ، وما كانت البرامكة وغيرها تأتيه من الافضال على الناس ، فأخذ أبو مخلد يَدْفَع هذا ويُبْطِلُه ، حتى فقال : هذه حِيَلٌ نصبها الشحّاذون على دراهم الناس ، لا أصل لها .

فقلت له : أيها الشيخ إن قلتَ ذلك ، فقد قال صاعِدٌ مثلَه فأجيبَ . فقال ، ما قال ؟

فقلت له : حُكِيَ له جود البرامكة ؛ فقال : هذا من موضوعات الورّاقين وكذبهم ، وكان أبو العيناء حاضراً فقال له : فَلِمَ لا يُكْذَبُ على الوزير أعَزَّه الله مِثْلَ هذا ؟ وهو حَيٌّ يُرْجَى ويُخَاف ، وأولئك موتى مَيْؤوسٌ مِنْ خيرهم وشرهم مثل هذا الكذب ؟

قال : فخجل أبو مخلد (١) .

---

(١) نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٦

ظرف أبي العيناء

مع ما كان عليه أبو العيناء من ظرف وخفة ظل ، ولطف في اللفظ لم يسلم من انتقاد منتقد لظرفه وإن كان نقده له لم يمنعه من الاعتراف بأنه ظريف ولكنه ذكر أن ظرفه قصير الأمد ، سريع الإنقضاء ، إذْ قال ذلك المنتقد :

إنما ظرف أبي العيناء في المجلس لحظه
فإذا طاولته استبردت معناه ولفظه [١]

ولم يدر ذلك المنتقد أنه إنما كان إلى أن يقرض ظرف أبي العيناء في بيتيه تينك أقرب منه إلى أن يعيبه ذلك بأنه من طبيعة الظرف اللفظي أن يكون كذلك ، بل ان الظريف نفسه إذا أكثر خرج عن دائرة الظرف ، وأمل سامعيه إن لم يضجرهم .

ومثل ذلك قول أبي على البصير في أبي العيناء [٢] :

إنما يحلو أبو العيناء في صدر النهـــار
فإذا طاول قد يربو علي بغض الخُمار [٣]

---

(١) محاضرات الراغب ج ١ ص ٣٣٤ .
(٢) ثمار القلوب ص ٤٩٦ .
(٣) الخمار ما يصيب شارب الخمرة من صداع وثقل في حواسه .

ولن نسوق في هذا الفصل شواهد على ظرف أبي العيناء لأن هذا الكتاب كله شاهد على ذلك . ولكننا ننقل بعض أقوال المتقدمين في ظرف أبي العيناء .

قال ياقوت : كان أبو العيناء من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللَّسَنِ وسرعة الجواب [1] .

وكذلك قال ابن خلكان : إنه من ظرفاء العالم [2] .

وقال أبو عبيد البكري : إنه معروف بالذكاء واللَّسَنِ ، وسرعة الحفظ ، والجواب والظَّرْف [3] .

وذكر صلاح الدين الصفدي جماعة ممن رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم ممن نالها فذكر منهم أبا العيناء في الأجوبة المسكتة [4] .

* * *

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٦ .
(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٣) سمط اللآلىء ج ٣ ص ٤٥ .
(٤) الغيث المسجم ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

فكاهة أبي العيناء

فكاهته : يصعب الفصل فَصْلاً تاماً بين الفكاهة والنادرة والكلمة التي وقعت في الهزل موقعها وصادفت محلها . ولكننا إذْ خصصنا فصلاً لفصاحة أبي العيناء ، وفصلاً لبديهيته ، وفصلاً لمجونه وجب أن نخصص فصلاً لفكاهته وهي ما كان غالباً عليه من كلامه الطرافة واستدعاء الضحك والابتسام . وإن كانت تلك صفة كلام أبي العيناء بوجه عام لأننا لو ذهبنا نستقصي كل ذلك لتطلب منا حَيِّزاً واسعاً من الكتاب ، ولكننا ذكرنا بعضاً مما قد يندرج تحت هذا العنوان في فصول أخرى لا يحسن أن نكرره هنا ، وأبو العيناء معروف مذكور بأنه من أصحاب النوادر وقال الشابستي : هو من الطياب وهم جمع : طيب، بمعنى خفيف الروح ..

ومن فكاهاته ، ما قيل إن أبا الصقر اسماعيل بن بليل الوزير دخل عليه أبو العيناء بعد ما تأخر عنه ، فقال : ما أخّرك عنا ؟ قال : سُرِقَ حِماري ، قال : وكيف سُرِقَ ؟ قال أبو العيناء : لم أكن مع اللّص فأخْبرَكَ .

قال أبو الصقر : فَلِمَ لَمْ تأتنا على غيره ؟ قال : قَعَدَ بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذِلَّةَ المُكاري (1) وَمِنَّةَ العواري (2) .

---

(1) المكاري الذي يؤجر حماره للناس .

(2) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٧ والديارات ص ٥٤ ـ وجمع الجواهر ص ٢٨١ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٥ . ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٧١ . وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٣ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٧ .

وزحمه رجل بالجسر على حماره ، فضرب بيديه على أذُنَيْ الحمار ، وقال : يا فتى قل للحمار الذي فوقك يقول : الطريق (١) .

ودعا أبو العيناء رَجُلا ضريراً ليعشّيه . فلم يدع شيئاً إلا أكَلَهُ ، فقال أبو العيناء : يا هذا دَعَوتك رحمة ، فتركتني رَحْمة (٢) ويروى : دعوتك رحمة . فاتركني رحمة .

وقال أبو العيناء لابن مكرم وقد قدم من سَفَرٍ : مالكَ لم تُهْدِ الينا هديّةً ؟ قال : لم آتِ بشيء وإنّما قدمتُ في خِفٍّ (٣) قال أبو العيناء : لو قدمت في خِفٍّ لخَفّتْ روحك (٤) .

دخل أبو العيناء يوماً على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال عبيد الله له : في أي الحيّزين أنت؟ فقال أبو العيناء في حيّز الأمير أيّده الله وغُلِبَ عبيدُ الله ، فقال : يا أبا العيناء قد غُلِبْنا ، وقد أصابك خمسون رطل ثلج (٥) فقام ومضى إلى ابن ثوابة (٦) وقال : إنّ الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيّد اللهُ الأمير ، قد جئتك بجبل هَمَذان وما سَبَذان ثلجاً . فخذ منه ما شئت (٧) .

هكذا رواها ياقوت والصفدي وقد أوردها الشابشتي بلفظ آخر وفيه تفصيل أكثر فقال :

---

(١) المصدر نفسه وجمع الجواهر ص ٢٨٥ .
(٢) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ١٩٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ . وجمع الجواهر ص ٢٨٥ . ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ .
(٣) خف : متاع خفيف .
(٤) «زهر الآداب» ج ١ ص ٣٣٢ «وجمع الجواهر» ص ٧٦ .
(٥) لأن من غلب لزمه ذلك على شرطهم في تلك اللعبة .
(٦) ابن ثوابة رجل مشهور بثقل الظل أوردنا بعض النصوص المتعلقة بذلك في كتابنا «الثقلاء» .
(٧) معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٩١ ونكت الهميان ص ٢٦٧ .

قال أبو العيناء : دخلت على أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وكان يوماً صائفاً ، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج . فقال : إنا نلعب في نَدَب [1] إلى أن يدرك طعامنا . ففي أي الحزبين تحب أن تكون ؟ قلت : في حزب الأمير ، أيده الله ، فإنه أعلى وأبهى . فَغُلِبنَا ! فقال أبو أحمد : يا أبا عبد الله ، قد غُلِبنَا ! وقد أصابك بقسطك عشرون رطلاً ثلجاً . فقلت : أحْضِرُهُ أيها الأمير ، ووثَبْتُ ، فصرت إلى أبي العباس بن ثَوَابة ، فأقرأته السلام من أبي أحمد ، وقلت له : إنه يَتَشَوَّقُكَ ، وأراد أن يكتب إليك رُقعةً فخاف مراوغتك [2] ، فوَجَّهني رسولاً . وحمّلني رسالة . ولسنا نفترق إلاّ بحضرته !

فركب معي ، وجئنا ، فلما وقفتُ بين يديه ، قلت : أيها الأمير ، قد جئتك بجبل هَمَذان ثلجاً ، فاقْتَضِ منه ما قُمِرْنا [3] والعبْ مع أصحابك في الباقي ، فضحك حتى استلقى ، وسأل ابن ثوابة عن القصة ، فعرف الخبر ، فلما وقف عليه شَتَمَني ، وانصرف [4] !

أنظر إلى جرأته كيف يلقي بالنادرة ويجعل بطلها رجلاً كابن ثوابة ذي مقام كبير حتى انه في يوم من الأيام تولى كتابة الإنشاء وكان بعضهم يعتبره بمنزلة الوزير من الوزراء .

قال محمد بن مكرم يوماً : مذهبي الجمع بين الصلاتين ، فقال له أبو العيناء : صدَقْتَ ، تجمع بينهما بالتَّرْك [5] .

وقدم إليه ابن مكرم يوماً جَنْبَ شِواءٍ ، فلما جَسَّهُ قال : ليس هذا

---

(١) الندب : الرهان .
(٢) يقول الأستاذ كوركيس عواد : لعل لأصل « مراوعتك » بلآلدين المهملة أي افزاعك .
(٣) قمرنا : غلبنا في القمار .
(٤) الديارات ص ٥٧ و ٥٨ .
(٥) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٢ ونكت الهميان ص ٢٦٧ ومحاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٩٧ .

جنباً هذا سريجة قَصَبْ [1] .

وحضره يوماً ابنُ مكرم . وأخذ يؤذيه ثم قال : الساعة واللهِ أنصرف ، فقال أبو العيناء : ما رأيتُ مَنْ يَتَهَدَّدُ بالعافية غَيْرَك ! [2] .

ورويت بلفظ آخر وهو أن أبا العيناء أكثر عليه من المهاترة فقال : ابن مكرم : إن زدْتَ على هذا قمتُ . قال : أراك تهددنا بالعافية [3] .

وقال له ابن الجمّاز المغنّي : هل تذكر سالِفَ مُعَاشرتنا ؟ فقال أبو العيناء : إذْ تُغَنّينَا ونحن نَسْتَعْفيك [4] أي : نطلب العافية من استمرارك في الغنـــاء .

وغَدّاه ابن مكرم يوماً فَقَدّم إليه عِراقاً — أي عظاماً قد أكل ما عليها من اللحم — فلما جَسّه أبو العيناء قال : قِدْرُكم هذه طُبِخَتْ بالشطرنج [5] .

وأكل عند ابن مكرم يوماً فسُقِيَ على المائدة ثلاث شربات باردة ، ثم استقى فَسُقِيَ شربة حارة . فقال : لَعلّ مُزَمَّلَتَكم هذه تعتريها حُمّى الربع [6] وحمى الربع هي الحمى التي تعود في اليوم الرابع واذا أحَسَّ بها المرء شعر بالبرد .

ودخل أبو العيناء يوماً على المُتوكل ، فَقَدُّمَ إليه طعام فَغَمسَ أبو العيناء لقمته في خلٍّ كان حاضراً ، وأكلها فتأذّى بالحموضةِ ، وفَطِنَ المتوكل فجعل يضحك ، فقال أبو العيناء : لا تلمني يا أمير المؤمنين فقد مَحَتْ حموضتها حلاوةَ الإيمان من قلبي [1] .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٩ والامتاع ج ٣ ص ٦٩ .
(٢) المصدر نفسه : ونكت الهميان ص ٢٦٧ .
(٣) جمع الجواهر ٧٦ .
(٤) معجم لأدباء ١٨ ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٧ .
(٥) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٩٢ ونكت الهميان ص ٢٦٧ ومحاضرات الأدباء : ج ٢ ص ١٩٧ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٧ ونكت الهميان ص ٢٦٨ .

وأكل أبو العيناء يوماً عند بعض أصحابه طعاماً وغسل يده عشرَ مراتٍ ، فلم تنق ، فقال : كادَتْ هذه القدر إلاَّ أن تكون نَسَباً وصِهْراً [1] .

وقال أبو علي البصير لأبي العيناء : في أي وَقْتٍ وُلِدْتَ من النّهار ؟ قال : طلوع الشمس ، قال : فلذلك خَرَجْتَ مُكْدِياً [2] لأنه وقت انتشار المساكين . فقال له أبو العيناء : بيني وبينك مناسبة العمى . قال : كلّا ، إني من عميان الدَّوَاب ، وأنت من عميان العصا [3] .

وكان بين أبي علي البصير — وقد يقال الضرير — وبين أبي العيناء مهاترات وملاحاة ومداعبات مما حمل أبا علي البصير أن يقول :

أتانـا أبو العيناء في ابن مُزَوَّرٍ سنحكم فيه عادلاً غير جائر
نهنئـه في أسبوعـه وملاكـه فانْ ماتَ عَزَّيْنا سعيد بن ياسر [4]

وقال أيضاً :

لأبي العينـــاء أولا دهُمُ في الناس آيـهْ
فأبُو القـومِ سعيـدٌ وأبو العيناء دايهْ [5] .

وكذلك كان بينه وبين أبي هِفّان من ذلك أنه اجتمع أبو هِفّان وأبو العيناء على مائدة ، فقدمت إليهما فالوذجة ، فقال أبو هِفّان لأبي العيناء : هذه والله أشَدُّ حَرّاً مِنْ مكانك في لظى ، فقال أبو العيناء : بَرَّدَها الله بِشِعْرك [6] .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٩ .
(٢) المكدي : بتشديد الدال من يتخذ سوال الناس واستجداءهم حرفة له وفي أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٤ قال أبو علي لذلك خرجت شحاذاً سائلا .
(٣) جمع الجواهر ص ٢٤٥ .
(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٧١ .
(٥) المصدر نفسه . والداية : المربية .
(٦) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٠٤ .

وذكر الراغب الأصبهاني أن أبا علي البصير أهدى إلى أبي العيناء كرينجان[1] قد كتب على كل واحدة منها (أدخلوها بسلام آمنين) فردّها أبو العيناء وقد كتب عليها (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) [2] .

وحُكِيَ أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له ، فقال أبو العيناء : إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف [3] .

وعن أبي العيناء عن العطوي الشاعر أنه دخل إلى رجل عندنا بالبصرة وهو يجود بنفسه [4] فقال له : يا فلان ، قل : (لا إله إلا الله) وان شئت فقل (لا إلهُ إلا الله) [5] والأولى أحب إلى سيبويه ، ثم اتبع أبو العيناء ذاك بأن قال : سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت [6] .

وقال رجل لأبي العيناء : أتأمر بشيئاً ؟ فقال أبو العيناء : نعم ، بتقوى الله ، وحذف الألف من شيئاً [7] .

---

(١) لم يتضح لي معنى هذه الكلمة وربما كانت محرفة أو كانت عامية دخيلة محرفة أيضاً ووجدت
وجدت ما يقارب لفظها في (كريبان) بالفارسية وهو جيب الدرع أو القميص كما في المعرب للجواليقي (ص ٩٩)

(٢) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣)

(٤) الأولى بالضم والثانية بالفتح .

(٥) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٠ .

(٦) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٠ .

أبو العيناء الساخر

السخرية جزء من شخصية أبي العيناء ، ولكن أبا العيناء الساخر لا تقتصر سخريته على الأشخاص والأحداث ، وانما تتعداها إلى أشياء كثيرة منهـا اللغة . كما في هذا المثال الذي أورده الإمام ابن الجوزي فقال :

سُئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم . وعن حماد بن سلمة بن دينار فقال : بينهما في القدْر ما بين أبويهما في الصّرْف (١) .

فالسائل سأل أبا العيناء عن مقارنة الحمادَيْن في العلم والفضل أو الصدق في الحديث ، ولكنه لسخريته وحبه للتندر قلب المعنى فأخرج ذلك إلى المدلول اللفظي لوالديهما أو جديهما وهما درهم ودينار فقال ان بينهما من القدر مثل ما بين أبويهما في الصرف ومن المعلوم أن الدراهم من الفضة ، وأن الدنانير من الذهب ، وان الدينار الواحد كان في عدد من العصور يساوي في الصرف عشرين درهماً .

ومن ذلك قصته المشهورة مع صاعد بن مخلد — وكان نصرانيّاً — فأسلم فقصده أبو العيناء مرتين ، فوجده يصلي ، فقال : لكل جديد لذّة . قال المسعودي : يُعيّره بأنه حديث عهد بالإسلام .

---

(١) كتاب الأذكياء ص ١٠١ وأخبار الظراف والمتماجنين ص ٧٣ .

(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٣ ومروج الذهب ج٤ ص ٢٣٥ – ٢٣٦ . ومحاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٨٤ . وجمع الجواهر ص ١٥٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ وزهر الآداب ج ١ ص ٣٣٠ ونكت الهميان ص ٢٦٧ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٧١ . ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ والديارات ومعجم الأدباء ج١٨ ص ٢٩٣ والأذكياء ص١١٢ . =

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال : لو كان في زمن بني اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذُبِح غيره ! قيل : فأخوه عمر ؟ قال : كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً [1] .

وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شرابٍ شربه عنده ، فقال الخليفة المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء : ما تقول في نجاح بن سلمة ؟

قال أبو العيناء : ما قال الله تعالى : (فَوَكَزَهُ موسى فقضى عليه) فاتصل ذلك بموسى فلقي الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال : أيها الوزير أرَدْتَ قتلي فلم تجد إلى ذلك سبيلاً إلاّ بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي . فعاتب عبيدُ الله أبا العيناء في ذلك ، فقال : والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممتُ سيرته لك ، فأمسك عنه [2] .

ووقف رجل من العامة على أبي العيناء فأحَسَّ به فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجل من بني آدم . فقال أبو العيناء : مرحباً بك ، أطال الله بقاك وبقيت في الدنيا . ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع [3] !

وروِيت له واقعة أخرى شبيهة بها وهي :

ان رجلاً قال لعبيد الله بن سليمان – الوزير – إنْ رأيتَ أعزّكَ الله أن تُخرِج لي رَزْقاً ، فقال عبيد الله بن سليمان : ممّن الرجلُ ليخرج الرِّزْقُ على قدر ذاك ؟ قال : مِنْ ولد آدم فقال أبو العيناء : احتفظ أعزّك الله بهذا

= ولكل جديد لذة ، مثل فصيح باق ، حتى الآن في نجد ذكرناه في كتابنا « الأمثال العامية في نجد » ...

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٨ ؛ وفي نكت الهميان ص ٢٦٩ وجمع الجواهر ص ٢٨٥ . الحديث عن مالك فقط .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ص ٣٢٩ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٦ وجمع الجواهر ص ٢٨٤ . وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٧ . وغرر الخصائص ص١٠١ . ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ .

النسب ، فقد انقطع أصله [1] .

قدم أبو عيسى الخليفة بن المتوكل إلى أبي العيناء سكباجة [2] فجعل لا تقع يده إلا على عظم . فقال : جعلت فداك : هذه قِدْرٌ ، أم قَبْرٌ [3] .

قيل لأبي العيناء : ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رُسْتُم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، اثمهما أكبر من نفعهما [4] .

وخاصم يوماً عَلَوِياً ، فقال له العَلَوِيُّ : تخاصمني وقد أُمرتَ أنْ تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال أبو العيناء : لكني أقول : الطيبين الطاهرين ، فتخرج منهم [5] .

وقال له رجل من ولد سعيد بن مُسْلِم : إنَّ أبي يبغضك . فقال أبو العيناء ، يا بُنَيَّ ، لي أسوة بآل محمد ﷺ [6] .

ودخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرة فاستسقى ماءً . فقال الرجل : في هذا الوقت تعطش ؟ قال أبو العيناء : أصلحك الله هذا أمانٌ لك من الغـــداء [7] .

وسئل أبو العيناء عن رجلين ؟ فقال : « وما يستوي البحرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وهذا مِلْح أجاج [8] » .

---

(١) الديارات ص ٥٦ .
(٢) السكباجه : مرق اللحم .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ ونكت الهميان ص ٢٦٨ وجمع الجواهر ص ٢٨٥ .
(٤) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٢ ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ١٥٠ . ونكت الهميان ص ٢٦٧ وجمع الجواهر ص ٢٨٥ وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠١ .
(٥) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ . وشذرات ذهب ج ٢ ص ١٨١ . ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٧ .
(٦) معجم الأدباء ج ٨ ص ٢٩٨ ونكت الهميان ص ٢٧٠ .
(٧) جمع الجواهر ص ٣٥٧ .
(٨) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٤٩ .

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد ، فسلم عليه ، فقال له أبو العيناء : مَنْ أنت ؟ قال : أنا أحمد بن سعيد ، فقال : إني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إليّ من أسفل فما له ينحدر عليّ من عُلْوٍ ؟ قال : لأني راكب ، فقال أبو العيناء : عهدي بك وأنت في طِمْرَيْنِ (1) لو أقسمتَ على الله في رغيف لأعضَّكَ بما تكره ! (2) .

دَقَّ إنسان الباب على أبي العيناء ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا . فقال أبو العيناء : أنا والدَّقُّ سواءٌ (3) .

وقال الراغب : قيل لأبي العيناء : كيف تركت فلاناً مع قومه ؟ قال : (يَعِدُهُمْ ويمنيهم . وما يَعِدُهُمُ الشيطانُ إلا غرُوراً) (4) .

وكان أبو العيناء في مجلس اسماعيل بن اسحاق القاضي ، فدخل رَجُلٌ ومشى على رجله – أي رجل أبي العيناء – فصاح ، فقال الرجل : « بسم الله » فقال أبو العيناء : القَصَّابُ يَذْبَحُ ويقول : بسم الله (5) .

وقيل لأبي العيناء : فلان يضحك منك . فقال : (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) (6) .

وكان أبو العيناء يوماً على بابه فَمَرَّ به رجل ، فَسَلَّمَ عليه ، وقام يمشي معه ، فقال الرجل : لا تعن (7) يا أبا عبد الله ، فقال أبو العيناء : ما عني من أبْعَدَكَ عن داره (8) .

---

(1) في طمرين ، أي : نريد خلقين ثوبين فكيف استطعت أن تكون راكباً على دابة ؟
(2) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٨ . ونكت الهميان ص ٢٦٩ .
(3) المصدر نفسه ونكت الهميان ص ٢٦٩ .
(4) محاضرات الراغب ج ١ ص ٢٧٠ .
(5) جمع الجواهر ص ٢٨١ .
(6) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٣٧ .
(7) لا تعن : أي : لا تتحمل العناء والمشقة في مشيك معي .
(8) جمع الجواهر ص ٢٨١ .

وقال أبو العيناء لرجل : والله ما فيك من العقل شيء إلا مقدار ما تجب به عليك الحجة والنارُ لك [1] .

وخاطب أبو العيناء الوزير صاعد بن مخلد يوماً في حاجة ، فأمسك عنه ، ولم يَرُدَّ جواباً عليه ، فعاوده ، وكان الأمر على حاله تلك . فقال له أبو العيناء : تكلّمْ يا سيِّد مَنْ سكت [2] .

وقال الثعالبي : من لطائف الأطباء كنايتهم عن سيلان الطبيعة الخلفة ، وعن القيام لها الاختلاف . ومنه قول أبي العيناء وقد سئل فقيل : إلى مَنْ يُخْتَلَفَ ؟ فقال : إلى مَنْ يختلف عليه [3] .

فالسائل سأله إلى مَنْ ينبغي أن يختلف الناس اليه أي يترددون عليه لفضله وأدبه ، أو لكرمه وجوده ، ولكنه أجاب لسخريته بأبناء عصره إلى من يختلف عليه ، وهذا تَرْكُ شرحه أجمل .

وهو كقوله وقد سئل : هل بقي منْ يلقى ؟ قال : نعم ، في البئر [4] .

يريد السائل أن يقول : هل بقي من يحرص الناس على أن يلقوه لعلمه ، أو لسخائه أو لمكانته ؟ ولكن أبا العيناء الساخر أجابه إجابةً غير مباشرة ، وصرف اللفظ إلى غير معناه المراد بقوله : نعم . بقي من يستحق أن يلقى بالبئر لعدم نفعه ، وعدم جدوى لقائه .

ولعل جواب أبي العيناء لذلك الرجل الذي لقيه في السحر فتعجب من بكور أبي العيناء ، وسأله عن سبب خروجه في تلك الساعة ؟ فكانت إجابة أبي العيناء إجابة ساخرة حيث قال : أراكَ تشترك معي في التبكير ، وتتعجب من بكوري وحدي . وهذا نصها :

---

(١) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٦١٤ .

(٢) المفوات النادرة ص ٢٧٨ .

(٣) النهاية في الكنايات ص ٢٩ .

(٤) الأذكياء ص ١٠١ وأخبار الظراف والمتماجنين ص ٦٩ والبصائر والذخائر ج ١ ص ٣٧٤ طبع دمشق وجمع الجواهر ص ٢٨٠ وغرر الخصائص ص ١٠١ .

لقي بعض الكُتّاب أبا العيناء في السَّحَر ، فجعل يتعجب من بكوره ، فقال أبو العيناء : أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب (١) ؟!

وحَدَّثَ أبو العيناء بعضَ الزبيريين بفضائل أهله ، فقال له : الزبيري : أتجلب التمر إلى هَجَر ؟ فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أجدبَتْ أرضها ، وعاوم (٢) نخلها (٣) .

وقيل : تفاخر رجلان في الكرم ، وتراضيا بأبي العيناء فحكّماه ، فقال : أنتما كما قال الشاعر :

حِمارا عباديّ إذا قيل : نَبِّنـــا
بِشَرهما يوماً يقول : كلاهما (٤) .

واجتاز رجل يقال له : ابن بدر بأبي العيناء وهو على بابه جالس . فقال : هذا منزلك أبا عبد الله ؟ قال أبو العيناء : نعم ، فإنْ شئت أن ترَى سوءَ أثرِك فيه فانزِلْ (٥) ! .

وقال البيهقي :

اجتاز أبو العيناء ذات يوم ، فسمع غناءً لم يعجبه ، فسأل أبو العيناء عن صاحب الغناء ، فلما قيل له : إنه أبو الحمار ، قال : صدق الله (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) وكان عمّاً لمحمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغـــل (٦) .

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٩ .
(٢) معاومة النخلة أن تحمل سنة ولا تحمل أخرى ، ويريد هنا السنة التي لم تحمل فيها النخلة .
(٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٢٩٩ .
(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٥٠ « وحمارا عبادي » مثل عربي قديم ...
(٥) الديارات ص ٥٥ .
(٦) المحاسن والمساوىء ص ٤١٧ .

أبو العيناء الرسام

لا ندري ماذا يكون من أمر أبي العيناء لو أتاح له عصره وبصره أن يرسم وأتاح لنا دهرنا أن نرى رسومه ، ولكن الذي يمكننا أن نراه هو رسمه بالكلمات فهو يرسم بها رسوماً دقيقة وأحياناً رسوماً هزلية : اسمع اليه وهو يقول في محمد ابن طاهر [1] .

ما دخلت على محمد بن طاهر قط إلا ظننت أنه من طلائع القيامة ، قصير القامة ، مشوم الهامة ، خرج من خراسان وهو أميرها . ويطمع فيها وهو طريدها ، ويَبْلي على أسير الصَّغَار ، وطليق الهزيمة [2] .

وروى الصولي أن أبا العيناء كان في جملة أبي الصقر [3] قال : وكان يعادي ابن ثوابة [4] لمعاداة أبي الصقر فاجتمعا في مجلس يعقب ما جرى بين أبي الصقر ، وبين ابن ثوابة في مجلس صاعد[5] . فتلاحيا ، فقال له ابن ثوابة : أما تعرفني؟ فقال أبو العيناء : بل أعرفك ضيق العطن [6] كثير الوسن [7] قليل الفِطَن ، خارّاً على الذقن ، قد بلغني تعديك على أبي الصقر ، وإنّما حَلُمَ عنك لأنه لم ير عزّاً فيذله ، ولا عُلُوّاً فيضعه ، ولا حجراً فيهدمه ، فعاف

(١) محمد بن طاهر الخزاعي أمير خراسان سنة ٢٤٨ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٤ .

(٣) في جملته أي من أصحابه وخلطائه .

(٤) ابن ثوابة : أحد الكتاب المشهورين ووصف بثقل الظل كما في كتابنا « الثقلاء » .

(٥) صاعد بن مخلد .. الوزير .

(٦) كناية عن ضيق النفس وعدم التحمل .

(٧) الوسن : النعاس والنوم .

لحملك أن يأكله ، وسَهكُ [1] دمك أن يسفكه . فقال له ابن ثوابة : اسكت ، فما تسابّ اثنان إلا غلب الأمهما . قال أبو العيناء : فلهذا غلبتَ بالأمس أبا الصقر ، فاسكته [2] .

وذكر يوماً وَلَد موسى بن جعفر ، فقال : كأنّ أنوفهم قُبُور نُصبتْ على غيرِ قبلة [3] .

وقال أبو العيناء لثقيل : يا عجباً من جسم كالخيال ، وروح كالجبال [4] .

لكن هل كان أبو العيناء يتوخى الحقيقة ، فيما يقول ، أو قل هل رسمه رسم صادق الأصل ، رائع الأمر في الجملة ؟

اننا لا نستطيع الاجابة الكاملة على هذا السؤال ولكننا نرى بعض العلماء العدول الثقات مثل الإمام محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ينقل كلاماً لأبي العيناء في بيان حال أحد القضاء الأجلاء وهو لم ينقل كلامه إلا على الاستشهاد به ، ظاهر من ايراده أنه يعتد بكلام أبي العيناء ، في مثل هذه الأمور ، قال وكيع في ترجمة القاضي عبد الله بن سوار بن عبد الله ، قال أبو العيناء : ليس أحد وليِّ القضاء قليل الفقه ، قد تم القضاء بعقله إلا عبد الله بن سوار [5] .

وذم أبو العيناء رجلاً فقال : له ضحك كالبكاء ، وتودّد كالسباب [6] ونوادر كندب الموتى [7] .

وقال أبو العيناء : رأيت ابن مكرم ، فرأيت بطنه بطن حُبْلى ، ونَفْسه نَفْسَ وَلْهَى ، ومخاطه مخاط ثكلى ، وفي استه الداهية العظمى [8] .

---

(1) سهك : خبثت ريحه .
(2) معجم الأدباء ج ٤ ص ١٥١ و ١٥٢ وجمع الجواهر ص ٢١٥ وكتاب الصناعتين ص ١٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ مع بعض اختلاف
(3) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٣٥ . ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٨ . ونكت الهميان ص ٢٧٠ . وجمع الجواهر ص ٢٨١ .
(4) غرر الخصائص ص ٢٨٨ .
(5) أخبار القضاة ج ٢ ص ١٥٥ .
(6) في زهر الآداب كالعزاء .
(7) البصائر والذخائر ج ٣ ص ١٥ وزهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ .
(8) الديارات ص ٥٦ .

أبو العيناء يتشفّى!!

نلاحظ أن من أخلاق أبي العيناء التشفي وهي خلة ذمّ لا يفعلها كبار النفوس .

قال أبو حيان التوحيدي : عندما عزل عيسى بن فرخانشاه عن الوزارة وكان مستخفاً بأبي العيناء وقف عليه أبو العيناء وقال : الحمد لله الذي أذلّ عزتك ، وأذهب سطوتك ، وأزال مقدرتك ، وأعادك إلى استحقاقك ومنزلتك ، فلئن أخطأت فيك النعمة ، لقد أصابت منك النقمة ، ولئن أساءت الأيام بإقبالها عليك ، لقد أحسنت بإدبارها عنك ، فلا أنفذ الله لك أمراً ، ولا رفع لك قدراً ، ولا أعلى لك ذكراً (١) .

ان هذه الكلمات — رغم ما فيها من التشفي — في غاية عظمة من الفصاحة والبلاغة . وفيها من الحلاوة ، وعليها من الطلاوة ما يغري سامعها باستعادتها مرة وربما مرات كثيرة .

ومثلها قوله في أحمد بن أبي دؤاد القاضي إذ كتب إليه : أما بعد ، فالحمد لله الذي حبسك في جلدك ، وأبقى لك الجارحة التي بها تنظر إلى زوال نعمتك ، وذلك في رسالة طويلة (٢) .

وهذا شبيه بما قاله أبو العيناء نفسه ، قال أبو العيناء : كان عيسى بن

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٣ . وأول هذا القول في محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥١ في محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٦ منها ما نقلناه هنا .

فرخان شاه يتيه [١] عليَّ في ولايته الوزارة ، فلما صُرِف [٢] رَهِبَني ، فلقيني فسلم عليَّ فأحْفَى : فقلت لغلامي : مَن هذا ؟ قال : أبو موسى ، فدنوت منه ، وقلت :

أعزَّكَ الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك ، فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأتْ فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النقمة . ولئن كانت الدنيا أبْدَتْ مقابحها بالإقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة إذْ أغنانا عن الكذب عليك . ونزهنا عن قول الزور فيك . فقد ــ والله ــ أسأت حمل النعم ، وما شكرت حَقَّ المُنْعِم .

فقيل له : يا أبا عبد الله ، لقد بالغت في السَّب ، فما كان الذَّنْبُ ؟ قال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردني عنها بأقبح من خِلْقَتِه [١] .

ومِنْ تَشَفِّي أبي العيناء ما ذكر أنه مَرَّ على دار عَدُوٍّ له فقال : ما خَبَرُ أبي محمد ؟ فقالوا : كما تحب . فقال : ما لي لا أسمع الرَّنَّةَ والصياحَ عليه [٢] .

ورواها ابن خلكان على الوجه التالي : مَرَّ أبو العيناء بباب عبد الله بن منصور وهو مريض ، وقد صحَّ ، فقال لغلامه : كيف خَبَرُه ؟ فقال : كما تحب . فقال : ما لي لا أسمع الصُّراخ عليه ؟ [٣] .

---

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣١٦ وغرر الخصائص ص ٣٣ و ٣٤ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٥ .
(٣) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ . وهي كذلك في الديارات ص ٥٥ .

مجون أبي العيناء

لا نستطيع أن نفصح بالكلمات عما استحله أهل عصر أبي العيناء وما أعقبه من عصور من ذكر مجون وهزل هو بالقاذورات اللفظية أشبه منه بالكلمات التي يجوز أن تكتب وتسجل ، بَلْهَ أن تستحق التسجيل وأن تستحسن ، ولذلك لا غرو أن يكون أبو العيناء سائراً على تلك القاعدة العامة في أدب عصره ، ولكننا سنذكر هنا من مجونه اللفظي ما يعد هَيِّناً بجانب ما أهملناه ، وهو ممن اشتهر بالمجون كما قال النويري [١] .

قال أبو العيناء لحجّاج الكاتب : ابنك في أي شيء هو من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول ، قال : هو إذاً في باب والديه [٢] .

ولفظ الصابي أوضح وأبسط قال :

دخل أبو العيناء على حجاج بن هارون صاحب ديوان الزمام في الخراج ، وكان يُحَمَّقُ فحادثه ، وجرى ذكر الرُّطَبِ ، فقال حجاج : أطيَبُ الرُّطب ما دَقَّ أنواتَها ، ورقَّ لحائِها [٣] ، فقال له أبو العيناء : يا أبا محمد ما كنتُ أعرفك تحسن النحو . وأراك قد تعلمتَه ، فقال : نعم ، تَعَلَّمْتُ من معلم الصبيان ، قال : ففي أي بابِ الصبيانُ اليوم منه ؟ قال : في باب الفاعل والفاعلة ، قال أبو العيناء : إذاً فهم في باب والديهم [٤] .

---

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ١١١ .

(٣) لقد نطق نواتها بالجر وكذا لحائها والوجه أن تكون مرفوعة .

(٤) المفوات النادرة ص ٢٦٧ .

ورويت القصة على وجه آخر ، قال الحصري : دخل أبو العيناء على ابراهيم بن المُدَبِّر [1] وعنده الفضل بن اليزيدي وهو يلقي على ابنه مسائل من النحو ، فقال أبو العيناء : في أي بابٍ هذا ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول به . قال : هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله . فغضب الفضل وانصرف . وكان البحتري حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المُدَبِّر التي أولها :

ذكّرَتنيكَ روحة للشَمُول
أوقَدَتْ لوعتي ، وهاجَتْ غليلي
أي شيء ألهاك من سُرَّ مَنْ را
ءَ [2] وظلٌ للعيش فيها ظليلِ ؟

إلى أن قال في آخرها :

جُلُّ ما عنده التَرَدُّدُ في الفا   عل من والديه والمفعول [3]

وقال الحصري : كان أبو العيناء يهاتر ابنَ مكْرم كثيراً : كتب ابن مكرم إليه يوماً : قد ابتعتَ لك غلاماً من بني ناشر ، ثم بني ناعظ ، ثم من بني نهد ، فكتب اليه أبو العيناء (فأتنا بما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ من الصادقين) [4] .

وفيما رواه أبو حيان أن الذي كتب هو أبو العيناء وليس ابن مكرم وإن المجيب هو ابن مكرم [5] وهذا أكثر وجاهة وأقرب انسجاماً مع ما عرف عن أبي العيناء .

---

(١) ابراهيم بن المدبر من مشاهير كتاب ذلك العصر .
(٢) أي سر من رأى أي التي سميت بعد ذلك بسامرا في الوقت الحاضر وهي بلدة في العراق .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٧ . والقصة بتمامها نقلها الحصري والمرزباني انظر عن نور القبس ص ٩٣ .
(٤) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٥٤ .

قال أبو العيناء : قال لي محمد بن مكرم : أما تعرفني ؟ قلت : بلى ، ولكن معرفة أرثي لك منها [١] .

وَوُلِدَ لأبي العيناء وَلَدٌ ، فأتى ابن مكرم اليه ، فَسَلَّم عليه ، وَوَضَعَ حجراً بين يديه ، وانصرفَ فأحس به أبو العيناء فقال : مَنْ وضع هذا ؟ فقيل : ابنُ مكرم ، قال : لعنه الله ، إنّما عَرَّض بقول النبي ﷺ .. « الولد للفِراشِ ، ولِلْعَاهِرِ الحَجَرُ » [٢] .

وأتى أبو العيناء إلى باب إبراهيم بن رياح ، فَحُجِبَ ، فقال : إذا شغل بكأسٍ يُمْنَاهُ ، وبِحِرٍ [٣] يُسْراه وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لا يَحْفِل بحجاب مَنْ أتاه [٤] .

وقال أبو العيناء : أخجلني ابنٌ صغيرٌ لعبد الرحمن بن خاقان ، قلت له : وَدِدْتُ أنَّ لي ابْناً مثلك . قال : هذا بيدك . قلت كيف ذلك ؟ قال : تحمل أبي على امرأتك فتلد لك ابناً مثلي [٥] .

ورواه الراغب الأصبهاني بصيغة أخرى فقال : قال أبو العيناء : ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن رجاء قلت له يوماً : أيبيعك أبوك مني فإني أريد ابناً مثلك ، فقال : البيع لا يمكن ، إن شئت أحمل أبي على امرأتك فتأتيك بولد مثلي [٦] .

---

(١) الديارات ص ٥٥ .
(٢) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ . وجمع الجواهر ص ٧٦ . والكناية والتعريض ص ٥٤ . وطبقات الشعراء ص ٤١٥ ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ١٧١ .
(٣) الحر – بكسر الحاء – : قبل المرأة .
(٤) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣٢ . وجمع الجواهر ص ١٥٨ .
(٥) معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٨٧ .
(٦) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٥٥ .

وقال ابن وَثّاب لأبي العيناء : أنا والله أُحِبُّكَ بكُلّيتي [1] . فقال أبو العيناء : إلا عُضْواً واحداً . فبلغ ذلك ابنَ أبي دؤاد ، فقال : لقد وفّقَ في التحديد عليه [2] .

وقال المتوكل لأبي العيناء يوماً : هل رأيت طالبياً حسن الوجه قط ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : أرأيت أحداً قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف . قال : نعم . رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتىً ما رأيت أجمل منه .

قال المتوكل : تجده كان مؤاجراً ، وتجدك كنت ... [3] عليه !

فقال أبو العيناء : وفرغتُ لهذا يا أمير المؤمنين ؟ أتُرَاني أدَعُ مواليَّ على كثرتهم [4] وأقود على الغرباء ، قال : أسكت يا [5] ... قال أبو العيناء ، مولى القوم منهم !

قال المتوكل للفتح ابن خاقان : أردت أن أستشفي به منهم [6] فاستشفى لهم مني [7] .

وكان بينه وبين محمد بن مكرم مداعبةفقال له ابن مكرم يوماً : كم عدد

---

(١) هذا شبيه في المعنى بالتعبير الشائع في هذا الزمان : أحبك من كل قلبي .
(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٧ ومعجم الأدباء .
(٣) كلمة بشعة حذفناها وتفهم من السياق .
(٤) يعني بمواليه بني العباس .
(٥) كلمة : قذف صريحة .
(٦) قال ذلك لأنه كان منحرفاً عن الطالبين .
(٧) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٥ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩١ ونكت الهميان ص ٢٦٦ وجمع الجواهر ص ٢٨١ . وغرر الخصائص ص ١٢٦ .

المكدين بالبصرة [1] فقال له أبو العيناء : مثل عدد البغّائين في بغداد [2] .

وقال ابن مكرم له يوماً : أحْسَبُكَ لا تصوم شهر رمضان ، فقال له أبو العيناء : ويلك وتدعني امرأتك أصوم [3] ؟ .

وقال ابن الجهم له يوماً : يا ... [4] فقال أبو العيناء : (وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ) [5] .

وقال له رجل من بني هاشم : بلغني أنك بَغّاء ، فقال : وما أنكرتَ مِنْ ذلك مع قول رسول الله ﷺ : « مولى القوم منهم » فقال الهاشمي : إنك دَعِيٌّ فينا ، قال : بغّاني صَحّحَ نسبي فيكم [6] .

وقال أبو العيناء : اشتريت جاريةً فَقَعَدَتْ يوماً بجنبي فجعلت أُقَبِّلُهَا وأتَرَشّفُها لا أزيد على ذلك فقالت : أتحفظ لأبي نواس :

حدثنا الأشياخ فيما رَوَى أبو زياد شيخُنا عن شَرِيكْ
لا يَشْتفي العاشقُ مِمّا بــه بالضّم والتقبيل حتى ... [7]

وقال أبو العيناء يوماً لابن ثوابة : إذا شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم

---

(١) المكدون : جمع مكدي وهو الذي يتخذ سؤال الناس واستجدائهم حرفة له والبصرة بلد أبي العيناء كما هو ظاهر .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٤٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ . ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٧ . ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ وفيها المكذبين تحريف ونكت الهميان ص ٢٦٧ .

(٣) المصدر نفسه . ونكت الهميان ص ٢٦٣ والديارات ص ٥٦ .

(٤) كلمة سب صريحة تعني عدم الرجولة .

(٥) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٥ ونكت الهميان ص ٢٦٧ وزهر الآداب ج ٣ ص ٢١٤ . ونهاية الارب ج ٤ ص ٧١ .

(٦) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٦ ونكت الهميان ص ٢٦٨ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٧١ .

(٧) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١١٩ .

وأرجلهم بما كانوا يكسبون شهد عليك أنْتَنُ عضوٍ فيك [1] .

وقال ابن مكرم لأبي العيناء يوماً : كان ابن الكلبي صاحب البريد يحب أن يَشُمَّ العذرة [2] قال : لو رآك لترشفك [3] .

كانا يشربان يوماً عند صديق لهما ، فقال ابن مكرم لصاحب الدار : أقوم إلى الخلاء ، فقال أبو العيناء : إذاً لا يعود إلينا منك شيء [4] أي : لأنه حَدَثٌ [5] .

وهذا من أقبح السب إذ جعله كله نجاسة .

ودخل أبو العيناء على ابن مَنَارةَ الكاتبِ ، وعنده أبو عبد الله بن المرزبان فقال لابن منارة : أُحِبُّ أنْ أَعْبثَ بأبي العيناء ، فقال له : لا تقوم به . فأبى إلا العبث به .

فلما جلس أبو العيناء قال له : يا أبا عبد الله ، لِمَ لَبِسْتَ جُبَّاعَةً ؟ قال أبو العيناء : وما الجُبَّاعة ؟ قال : التي ما بين جُبَّةٍ ودرَّاعةٍ ، قال أبو العيناء : لأنك صَفديم . قال : وما صفديم ؟ قال : الذي هو ما بين صفعانٍ [6] ونديم . فوجم لذلك ، وضحك أهل المجلس [7] .

قال رجل لأبي العيناء : ما أَنْتَنَ إبْطَكَ ؟ قال : تَلَقَّاك — أعزَّك الله — بما يُشْبِهُكَ [8] .

---

(1) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٩ . ونكت الهميان ص ٢٦٤ .
(2) ذكر لفظة أصرح من هذه والعذرة كما هو معروف : البراز .
(3) نكت الهيمان ص ٢٦٤ . وجمع الجواهر ص ٢٨٥ .
(4) جمع الجواهر ص ٧٦ .
(5) النهاية في الكنايات للثعالبي ص ٣٠ .
(6) الصفعان : الذي يدع الناس يصفعونه على قفاه يتكسب بذلك أو لا يأنف منه .
(7) جمع الجواهر ص ٢٢٦ .
(8) البصائر والذخائر ج ٢ ص ١٦٥ (طبع دمشق) .

وقال المرزباني : قال أبو العيناء : خَطَبَ رَجُلٌ إلى قوم فبينا هو في ذلك إذْ أنعظ ، فضرب ذكره بيده ، وقال : إليك يساق الحديث [1] .

قال محمد بن عبد الملك لأبي العيناء : بلغني أنك مأبون . قال أبو العيناء : مكذوب عليَّ وعليك ، أصلحك الله [2] .

وقال ابن مكرم لأبي العيناء : أما ترى غلامي هذا كم أعطيه وما له شيء ؟ [3] فقال أبو العيناء : نعم ، كسب الكنّاسين لا خير فيه [4] .

* * *

(١) نور القبس ص ٣٢٣ .
(٢) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٣٢١ .
(٣) يريد أنه ليس معه شيء من المال رغم أنه يأخذ دراهم كثيرة .
(٤) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١١٤ .

أبو العيناء مع الخلفاء والكبراء

بلغ أبو العيناء من علو المنزلة في الظرف ، ومن المكانة في الأدب إلى أن يفكر الخليفة في منادمته ومجالسته ثم يعرض عليه ذلك . ولكن أبا العيناء يخشى ألا تمكنه علته في ذهاب بصره من الوفاء بحقوق مجالسة الخليفة ، وهذا يقصد به أن يكون نديمه ومجالسه بصفة رسمية أو على وجه الدقة أن يسلك في سلك الموظفين الذين يختصون بالسلطان والا فهو يجالسه ويحادثه كثيراً كما سيأتي .
روى الإمام ابن الجوزي عن أبي العيناء قال ، قال المتوكل : قد أردتك لمجالستي ، فقلتُ : لا أُطيق ذلك ، ولا أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشّرف ولكنني محجوب [1] والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه الايماء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميِّز هذين هلكتُ قال : صدقتَ ، ولكن تلزمنا [2] فقلت : لزوم الفرض الواجب ، فوصلني بعشرة آلاف درهم . [3] .
ورويت القصة على وجه آخر ، ولعلهما واقعتان مختلفتان في التوقيت وان اتحدتا في الموضوع .
وهو أن المتوكل قال لابي العيناء بعد كلام سابق ؛ دع هذا ، ونادمنا ، فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل مَنْ في مجلسك يخدمك ، وأنا محتاج أن أُخْدَمَ ، ولست آمَنُ من أن تنظر إليَّ بعين راضٍ وقلبك عليَّ غضبان ،

---

(١) محجوب كفيف البصر .
(٢) أي تكثر زيارتنا .
(٣) كتاب الأذكياء ص ١٠٠ – ١٠١ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٤ والمنتظم ج ٥ ص ١٥٧ . وبعض القصة في الكناية والتعريض للثعالبي ص ٣٦ .

أو بعين غضبان ، وقلبك راض ، ومتى لم أميّز بين هذين هلكتُ ، فاختار العافية على التعرض للبلاء [1] .

ونقل التوحيدي عن أبي العيناء أنه قال : قال لي المتوكل : امض إلى موسى ابن عبد الملك ، واعتذر اليه . ولا تعرفه اني وجّهتك ، فقلت له : تستكتمني بحضرة ألف ؟ قال : إنما عليك أن تنفّذ فيما تؤمَر به ، وعليّ أن أحترس مما أخاف منه [2] .

قال الشابشتي : كان المتوكل يعجب بكلام أبي العيناء وسرعة جوابه ونوادره [3] .

وقال الإمام ابن الجوزي : روى أن الخليفة المتوكل قال : أشتهي أن أنادم أبا العيناء ، لولا أنه ضرير فقال أبو العيناء : إنْ أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة ، ونقش الخواتيم فإني أصلح [4] .

وأحاديث أبي العيناء مع المتوكل كثيرة كما قال الحصري : لأبي العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وقد ذكر جملة منها من ذلك ما نقله عن الصُولي : حدثني أبو العيناء قال : لما أدخلت على المتوكل ، فدعوت له وكلمته ، استحسن كلامي . وقال لي : إن فيك شرّاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، فقد زكّى الله تعالى وذمّ ، فقال في التزكية : (نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ) وقال في الذّمّ (همّاز مشّاء ، بنميم منّاع للخير مُعْتَدٍ أثيم) .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٩ وجمع الجواهر ص ١٥٩ وآمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠١ .

(٢) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) الديارات ص ٥٣ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٤ وأخبار الظراف والمتماجنين ص ٦٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٧ . والأذكياء وزهر الآداب ج ١ ص ٣٢٩ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ ومحاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٣١ وجمع الجواهر ص ١٥٩ وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٥١ والديارات ص ٦٠ مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٩٧ والظراف والمتماجنين ص ٦٩ .

إلى أن قال : وان كان الشر كفعل العقرب التي تلدغ النّبيّ والدّنيّ بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك عن ذلك .

إلى أن قال أبو العيناء . قال لي المتوكل : مـــا تقول في داري هذه ؟ قال : قلت رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك (١) .

فقال لي : ما تقول في عبيد الله بن يحيى ؟ قلت : نعم العبد لله ولك مُقَسَّم بين طاعته وخِدْمَتِك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة .

قال المتوكل : فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ وكان قد علم اني واجد عليه لتقصير وقع منه في أمري ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، يد تسرق ، واسْتٌ تضرط ، وهو مثل اليهودي سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدّى ، وإحجام بما أبقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف (٢) .

وكذلك قال البكري : لأبي العيناء أخبار كثيرة ، ونوادر معجبة ، ومجالس شهيّة مع المتوكل .

وقال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ، لا تكثر الوقيعة في الناس ، فقال : إن لي في بصري لشغلاً عن الوقيعة فيهم . قال : ذلك أشد لحيفك في أهل العافية (٣) .

وزاد الراغب الاصبهاني بعد ذلك : أعرف الناس بعوار العور (٤) .

ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعدي ؟ قال أبو العيناء : في أحوال مختلفة خيرها رؤيتك ، وشرُّها غيبتك . فقال المتوكل : قد والله

---

(١) هذه الجملة وردت منفردة في عدد من المراجع مثل « اللطائف والظرائف » ص ٣٢ .

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٣ – ٣٢٤ . وجمع الجواهر ص ٢٨٢ – ٢٨٣ ومروج الذهب ج ٤ ص ١٣٥ . وله غيره .

(٣) المصدر نفسه والبصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٤٨ . وجمع الجواهر ص ٢٨١ .

(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٨٩ وفيه المهدي وهو غلط لأن أبا العيناء ولد بعده .

اشْتَقْتُكَ ، قال أبو العيناء : إنما يَشْتاقُ العبدُ ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيّد فمتى أراد عبده دعاه [1] .

وقال له المتوكل : مَنْ أسْخَى مَنْ رأيتَ ؟ قال أبو العيناء : ابنُ أبي دؤاد . قال المتوكل : تأتي إلى رجل قد رفضناه فتنسبه إلى السخاء ؟

قال : إنّ الصدق – يا أمير المؤمنين – ليس في موضعٍ من المواضع أنفق منه في مجلسك ، وان الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد ، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلى المأمون ، وجود ابن أبي دؤاد منسوب إلى المعتصم ، فاذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين .

قال المتوكل : صدقت ، فَمَنْ أبخلُ مَنْ رأيتَ ؟

قال أبو العيناء : موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت مِنْ بخله ؟ قال : رأيته يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة .

فقال له المتوكل : قد وقَعْتَ فيه عندي مرتين ، وما أحب ذلك ، فألقه واعتذر اليه ، ولا يعلَمْ أني وجّهْتُ بك .

قال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين ، مَنْ يَستَكْتمني بحضرة ألفٍ ؟

قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراس من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذرَ كل واحد منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صُلْح ، فلقيه بعد ذلك بالجعفري [2] فقال موسى : يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فمالك لا تأتينا ؟ فقال أبو العيناء : (أتريد أن تقتلني كما قَتَلْتَ نَفْساً بالأمس) . فقال موسى : ما أرانا إلا كما كنا ! [3] .

---

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٨ . وجمع الجواهر ص ٢٨٤ وأمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٠ .
(٢) الجعفري قصر من قصور المتوكل .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

ودخل أبو العيناء على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له المتوكل : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : ان الناس بنوا الدور في الدنيا . وأنت بنيت الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه (١) .

وقال له المتوكل : ما أشدُّ ما مر عليك من فقد بصرك ؟ فقال أبو العيناء : ما حُرِمْتُ منه من النظر اليك أيها الأمير (٢) .

وقال أبو العيناء : لَمّا أُدْخِلْتُ على المُتَوكِّل عاتبني جُلَساؤه . فلما بَرَزْتُ عليهم . قال المتوكل : ادفعوا (٣) اليه عشرة آلاف درهم إتّقاءً للسانه ، فقلتْ : قد قتلتني والله يا أمير المؤمنين . قال لي : ويحك ، وكيف ذلك ؟ قلتُ : لأنَّ مَنْ خِفْتَهُ لا يعيش . فقال : ليس خوف فَرَقٍ (٤) ، ولكن خوْفُ صِيانة (٥) .

وَعُرِضَتْ جارية على المتوكل ، فقال لأبي العيناء هذه عُرِضَتْ على أنها شاعرة فقل شيئاً لتجيز ، فقال أبو العيناء :

أحمد الله كثيراً .

فقالت : حين أنشاك ضريراً .

فقال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين : قد أَحْسَنَتْ في إساءتها (٦) .

وقال المتوكل لأبي العيناء : إني لأفْرَق من لسانك . فقال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين الكريم ذو فَرَقٍ وإحجام ، واللئيم ذو وقاحة وإقدام (٧) .

وقال أبو العيناء : أنشدني المعتصم بعقب مدح جرى لبغداد :

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٧ – ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ .
(٢) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .
(٣) يخاطب المسؤولين عن خزائنه .
(٤) الفرق الفزع وشدة الخوف .
(٥) البصائر والذخائر ج ١ ص ٨٦ .
(٦) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٢٦٥ (طبع دمشق) .
(٧) غرر الخصائص ص ٢٣٢ .

سقـاني بعينيـه كأس الهوى فَظَلْتُ وبي منه مثل اللَّمَمْ [1]
بعيـنيْ مهـاةٍ شقيقتـه وشُنْبِ عِذاب وفرْعٍ أحَمّ

قال أبو العيناء : فتوهمت أنه يعني سُرَّ مَنْ رأى ويكني عنها بهذا الكلام فقلت : يا أمير المؤمنين قال مروان في جدك قريش : الأبلج ذوالبهاء ؛ غيث العفاة غَدًا الانواءِ ؛ وهم زمام الدَّوْلةِ الزهراء فقال : قل يا أبا عبد الله في مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصَبْتَ مقالاً ، فأنشدته لمروان بن أبي حفصة :

إلى مَلِكٍ مثل بـدر الدُّجـى عظيم الفِنَاءِ ، رفيع الدَّعَمْ
قريع نزارٍ ، غـداةَ الفخارِ ولو شئت قلت : جميع الأممْ
لـه كَفُّ جُود تُفيد الغنى وكَفٌّ تُبيد بسيف النِّقَمْ

فقال : زدني ، فأنشدته :

انتجعي يا ناق مَلْكَ غـالب قريش بطحاء أولى الأهاضب
والرأس ممدود على المنـاكب مَدَّ القباطيِّ عـلى المشاجب

إلى أن قال : فقال المعتصم : حسبك يا أبا عبد الله . ثم ذكر أنه أعطاه مالاً عظيماً وانصرف ، فقال الناس : يا أبا العيناء ، ما هذا ؟ فقال : مال الله على يد عبد الله ، الحمد لله ، والشكر لأمير المؤمنين ما دامت السماء ، وما حملت مقلتاي الماء [2] .

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزَّيّات الوزير ، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه ، فقال أبو العيناء ان من حق نعمة الله عليك ، لما قد أهَّلَكَ له في هذه الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك ، فبقضاء الحاجات تدوم النِّعم » .

فقال محمد : أما إني أعرفك فُضُولياً كثير الكلام ، أوَ تَرى أن طول

---

(١) اللمم الجنون غير المطبق .
(٢) المحاسن والمساوىء ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

لسانك يمنع مِنْ أن أؤدبك إذا زللت . وأمر به إلى الحبس .

فكتب اليه أبو العيناء من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك ، ولكنك أحببتَ أن تريني مقدار قدرتك عليَّ : لأنَّ كل جديدٍ يُسْتَلَذُّ ، ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك .

فأمر بإطلاقه وانقطع عنه مدة ، فلقيه ، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه [1] ، فقال : ما لي لا أراك يا أبا عبد الله ؟ فقال له أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمناكرة ، ولكنني أحسب الذي جَدَّدَ استبطاءك فراغ حَبْسك مِمَّنْ كان فيه فأردت أن تغمرني فيه [2] .

تديّن أبي العيْناء

أخبار أبي العيناء ، وما أُثر عنه من النوادر لا تدل على دقته في التعبير دقة تبعده عن شبهة قد تلحق دينه فهو كان يمزح ويلقي بالنادرة وان كان ظاهرها يخالف ما ينبغي أن يكون عليه المتدين الحريص على دينه . وربما كان لحبه للنادرة أثر في اقتناصها ولو كان فيها ما يوحي بسوءٍ في التعبير الذي ينبغي أن يصان عنه جانب التدين . ومع ذلك فانه كان مستوراً في الدين فلم يرم بالعظائم التي رمى بها بعض الأدباء في عصره كالزندقة ، ولا بالمذاهب المنحرفة عن الجادة السلفية في الاعتقاد كمذهب الجهمية والمعتزلة .

على أن الشيء الذي سجل عليه أنه ليس من الورع بذاك فكان أخذ حَمَلاً سميناً وأكَلَه دون رضى صاحبه ، وأوصى صديقاً له تولى ولاية بأن يخون فيها ويسرق ، وكان حَرِيّاً بأن تلحقه تهمة بأحد غلمانه لولا أنه احتاط لذلك . على أننا اذا حاولنا التماس العذر له نقول إنه ربما كان أخرج تلك الأقوال ، وفعل بعض تلك الأفعال من باب التنادر والملاطفة ، ونستدل على ذلك بأنه هو الذي كان يرويها ، ويتملح بها .

---

(١) أي وقف عليه وهو راكب دابته .

(٢) جمع الجواهر ص ٣٠٠ وهي بلفظ أبسط من هذا في الديارات ص ٥٥ .

روي عن ابي العيناء انه قال : وضعتُ أنا والجاحظ [1] حديث فدك [2] وأدخلناه على الشيوخ في بغداد ، فقبلوه ، الا ان ابن شيبة العلوي ، قال : لا يشبه آخر هذا الحديث أوله ، فأبى أن يقبله ، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان [3] .

وقال أبو العيناء : مررت يوماً في درب بسُرَّ مَنْ رأى فقال لي غلامي : يا مولاي ، في الدرب حَمَلٌ سمينٌ ، والدرب خالٍ ، فأمرتُه أن يأخذه ، وغطيته بطيلساني ، وصرت به إلى منزلي ، فلما كان من الغد جاءتني رُقْعةٌ من بعض رؤساء ذلك الدَّرْب مكتوب فيها : جُعلتُ فداك ، ضاع لنـــا بالأمس حَمَلٌ ، فأخبرني صبيان دَرْبنا أنك أنتَ أخَذْتَه ، فأمر بردِّه مُتفضِّلاً ، فكتبتُ إليه : يا سبحانَ الله ، ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك بغّاء ، وأُكذِّبُهمْ أنا ولا أُصدِّقهم ، وتُصدِّقُ أنتَ صبيان دربك اني أخذتُ الحمل ، قال : فسكتَ ولم يُعاوِدْني [4] .

ان هذه القصة توحي بشيئين غير سرقة الحمل : الأول : أن غلام أبي العيناء يعرف عنه قلة الورع حين عرض عليه أخذ الحمل . الثاني : الكذب على الرجل في رميه بذلك النعت الخبيث .

وروى الحافظ الخطيب عن أحمد بن محمد بن عيسى المكيّ قال ، كتب أبو العيناء إلى صديق له ولي ولايةً :

أما بعد ، فإني لا أَعِظُكَ بوعظة الله فإنك عنها غنيٌّ ، ولا أُخوِّفك إياه لأنك أعلم به مني ، ولكني أقول كما قال الأول :

---

(١) في معجم الأدباء (الحافظ) تحريف .

(٢) فدك قرية تقع بالقرب من خيبر راجع الكلام عليها في كتاب « في شمال غرب الجزيرة .. للأستاذ حمد الجاسر ص ٢٤٥ وما بعدها ويزيد بحديث فدك حديثاً في الخلاف الذي حصل بين أبي بكر الصديق وفاطمة رضي الله عنهما حول فدك فيما يظهر .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٩ . ونكث الهميان ص ٢٦٥ .

(٤) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ونكت الهميان ص ٢٦٨ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٧١ .

أحار بن بَدْرٍ قد وليتَ ولايــــةً فكُنْ جُرَذاً منها تخون وتسرق [1]
وكاثِرْ تميما بالغِنى ، إنمــا الغِنى لسانٌ به المرءُ الهَيُوبَةُ ينطــق

واعلم أن الخيانة فطنةٌ ، والأمانة حرفة [2] . والجمع كيْسٌ ، والمنع صرامة ، وليس كل يوم ولاية ، فاذكر أيام العطلة ، ولا تحقرنّ صغيراً ، فإنّ من الدور إلى الدّور وابلاء الولاية رقدة ، فتَنَبّهْ قبل أن تُنَبّه ، وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر ، وما هذه بالوصية التي أوصى بهـا يعقوبُ بنيه ، ولكن رأيت الحزم في أخذ العاجل ، وترك الآجل [3] .

أرأيت أسوأ من هذه الوصية إذا أخرجت مخرج الجد . وأرأيت أنها لطيفة خفيفة الروح إذا أخرجت مخرج الهزل وقيلت لمن لا يغتريها ، ولا يأخذ بما فيها ؟ وأغلب الظن أنه كذلك لأن أبا العيناء قال له : إنك أعلم بالله مني ، وقوله في آخرها : وما هذه بالوصية التي أوصى بهايعقوب بنيه .

أما مذهبه فإنه لا بد أن يكون موضع التفات للتعرف عليه في ذلك الوقت الذي كان وقت الاختلاف والشقــاق في المذاهب نتيجة لتأثير الفلسفات الوافدة على بلاد المسلمين في ذلك الوقت كالفلسفة اليونانية والأفكار الهندية والزرداشتية ، إضافة إلى المذاهب الكثيرة المنتشرة في بلاد المسلمين وبخاصة مذهب الشيعة .

فكان أنْ سأل المتوكل أبا العيناء عن مذهبه ، فأجابه أبو العيناء بجواب مقنع لمن كان في ذلك الوقت : ولندع الصُّولي يروي ذلك فيقول إن أبا العيناء حدث فقال : قال لي المتوكل : بلغني أنك رافضِي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشئي مسجــد جامعها ، وأستاذي الأصمعي ، وجيراني باهلة ، وليس يخلو الناس مِنْ طلب دينٍ ودنيا ، فان أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم مَنْ أخّروا ،

(١) حار في بدء أصله حارث بن بدر وحذفت الثاء للترخيم . والجرذ واحد الجرذان .
(٢) حرفة فقر : وحرمان .
(٣) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٦ وهي أيضاً في محاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٣ .

وتأخيرَ مَنْ قدموا [1] وان أرادوا دنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين ، لا دين الا بك ، ولا دنيا الا معك ، أبوك مستنزل الغيث [2] وفي يديك خزائن الأرض ، وأنا مولاك ، فقال ان ابن سَعْدان [3] زعم ذلك فيك . فقلت : ومَن ابنُ سعدانَ ؟ والله ما يُفَرِّقُ بين الإمام والمأموم ، والتابع والمتبوع ، إنما ذاك حاملُ دِرَّة [4] ، ومُعَلِّمُ صِبْيَة ، وآخذ على كتاب الله أجْرَة ، فقال : لا تفعل لأنه مؤدِّبُ المؤيّد [5] فقلت : يا أمير المؤمنين ، انه لم يؤدبه حِسْبة ، وانما أدَّبَهُ بأجرةٍ ، فإذا أعطيته حقه فقد قضيت ذمامه [6] .

فقام ابن سَعْدان ، فقال : يا أبا العيناء ، لا والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني ، ثم أقبل على المتوكل ، فقال : أي شيء أسهل عليك يا أمير المؤمنين : مِنْ أن يقضي مجلسك على ما تُحِبُّ ثم يخرج هـذا فتقطعني قال : فضحك المتوكل [7] .

ولعل من الطريف أن نذكر في هذا الفصل ورداً لأبي العيناء كان يقوله إذا خرج من داره لا شك أنه مستوحى من علته ، وهي العمى .

قال الحصري كان أبو العينـاء إذا خرج من داره يقول : اللهم اني أعوذ بك من الرَّكْبِ ، والرُّكبِ ، والآجُرِّ والخشب ، والرَّوايا والقرَبْ [8] . فهو يستعيذ بالله من شر الرَّكْب وهم الجماعة الذين يركبون دواباً ربما تخبط

(١) يريد بذلك التفضيل بين الصحابة .
(٢) يشير الى جد آل العباس وهو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد استسقى به الغيث أي أخرجه ليدعو للناس بنزوله .
(٣) هو ابراهيم بن سعدان المؤدب ترجم له ياقوت وغيره .
(٤) الدرة سوط صغير .
(٥) هو ابن الخليفة .
(٦) ذمامه حقه .
(٧) معجم الأدباء ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ والديارات ص ٥٨ .
(٨) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٦ .

ماراً ، أو تضيق طريقاً ، أو على الأقل تثير غباراً متصاعداً يلوث الجوّ ، ويزكم الأنوف ، وقد يكون الركب من ذوي السلطان في ذلك الوقت الذين لم يكونوا يبالون فيه بمشاعر العامة والدهماء .

وهو يستعيذ من الرُكَب جمع ركبة لأنها كثيراً ما تضرب الأعمى في الزحام فيتأذى من ذلك ، أما الأمر الأفظع من الرُكَب فهو الآجر الذي قد يتساقط فيقع فوق رأس الأعمى دون أن يشعر به أو يجعل كومة في الطريق استعداداً للبناء به فيعثّر به الأعمى فيسقط . وقد يتبعثر الآجُرُ في الأرض فيجعل مسلك الأعمى في الطريق صعباً وعراً بعد ما كان سهلاً نقياً . والأمر الآخر الأفظع منه هو الخشب الذي يحمل على الدواب ، ويسار به في الأزقة والشوارع ، وقد تكون ضيقة فتضايق أطراف الخشب أطراف الأعمى حتى يتأذى بذلك وربما يصاب بجروح يطول بها الوقت في ذلك الزمان قبل أن تندمل . وقد لا ينجي منه اللصوق بالجدار ونحوه .

أما الروايا جمع راوية ، والقرب : جمع قربة . فهي أدوات نقل الماء على الدّواب ، وإذا لامست الأعمى في الشتاء تأذّى باتّساخها ، وببرودة مائها ، وربما أصاب ثيابه من ظاهرها ما يشك في طهارته ..

أرأيت كيف كان ورد أبي العيناء وأنه بما يضيق به الأعمى في الشوارع الضيقة لخبير .

ولكن هل هذا ورد رجل متدين يحرص على أن يكون ورده مستوحى من الكتاب والسنة والأدعية المأثورة ؟ لا شك في أن الاجابة الصحيحة ستكون بالنفي .

وهناك سؤال عن علاقة أبي العيناء بالخمر أكان يعاقرها ؟ أم كان هاجرها ؟

ذكروا أن الخليفة المتوكل قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز

عن قليله ، وأفتضح عند كثيره [1] ...

فهل هذه إجابة من يشرب منها شيئاً ؟ أم هي إجابة من يجتنبها ؟ أم هي اجابة معدة لمقام الخليفة الذي ذكروا أنه كان منها غير بعيد ؟ الذي يظهر أن أبا العيناء لم يكن شراباً للخمر ، هذا ما يدل عليه جوابه ، ولكنه لم يَجْزِم النَفْي ، ولم يخرجه مجرداً لأنه في مقام كهذا الذي وصفْناه .

ونجد شعراً منسوباً لأبي العيناء نسبه إليه مؤلف ليس بالغ البعد عن عصره هو الشابشتي صاحب كتاب الديارات وهو صريح في الشرب . فان كانت نسبته اليه صحيحة ، ولم يكن قاله بقصد مجاراة المُجّان من الشعراء أمثال أبي نواس يبين قدرته على صنعة الشعر في الخمريات فانه يدل على أن أبا العيناء كان قد جرب معاقرة الخمر ، ومصاهرة ابنة الدَّنِّ وهذا هو الشعر [2] .

نزلنا دَيْرَ باشَهْرا على قِسِّيسِهِ ظُهْرا
على دينِ يشوعيَّ فما أسْنَى . وما أمْرَا
وسَقّانا ورَوّانا من الصافية العَذْرا
فطاب الوقت في الدَّيْر ورابطنا به عَشْرا

وهذا بعض الشعر وتمامه عند الشابشتي تسعة أبيات [3] .

وظني أنه مصوغ وأن نسبته إلى أبي العيناء غير صحيحة ، وان كان الظاهر أن الشابشتي لا يشك في نسبته إليه بدليل أنه ساق ترجمة لأبي العيناء ، وروى نوادر كثيرة عنه لمناسبة ذكره لهذا الشعر .

وهذه طرفة لا تليق أن توجه إلى رجل مشهور بالورع على خفة ظلها ؛ ووقوعها في محلها من التمالح والثناء – وبخاصة إذا كانت بين صديقين حميمين

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ . وجمع الجواهر ص ١٥٩ .
(٢) معجم البلدان رسم (باشهرا) ج ٢ ص ٤٩٩ .
(٣) الديارات ص ٥٢ .

ترفع بينهما بسط التكلف وتطرح عنهما معاً أثقال الاحتشام وهي كما رواها الراغب الأصبهاني حين قال :

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء : عندنا سكباج [1] يُرْعف المجنون [2] وحديث يُطرب المحزون ، واخوانك الملحدون [3] . فلا تعلو عليّ وائتون ! فكتب اليه أبو العيناء : (أخسئوا فيها ولا تكلّمون) [4] .

وهذا السؤال الذي قد يكون وراءه ما وراءه وان كان قد طرح على سبيل الإحراج والسخرية أو ربما كان قد طرح على سبيل المزاح والمداعبة . ولكنه على أية حال لا يمكن أن يلقى على رجل تقي ، مشهور بالتدين ، سليم العرض من أقوال الناس إلا على غير سبيل الجد .

قال جناح بن سلمة لأبي العيناء يوماً : ما ظُهُورُكَ وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزنادقة [5] ؟ فقال أبو العيناء : أستدفع الله عنك واصهارك [6] .

وهذه التالية التي زعم أنها طرفة وهي تثير الاشمئزاز بل ان أبا العيناء لو كان متين الدين لـمَّا قبل أن تقال له فضلاً عن أن يقرها في الظاهر وأن يجيب عليها بجواب يدل على استهانته بما تضمنته .

قال له العباس بن رُسْتُم يوماً : أنا أكفَرُ منك ، فقال له أبو العيناء : لأنك تكْفُر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن أبي دواد — القاضي — وأنا أكفر بلا خفارة [7] .

---

(١) السكباج مرق يعمل من اللحم والخل أصل الكلمة فارسية (سكبا) راجع الألفاظ الفارسية العربية ص ٩٢ .
(٢) في الديارات ترعب المجنون والظاهر أن ذلك تحريف لأن المجنون لا يرعبه المرق .
(٣) في الديارات المحازون تحريف .
(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٠٧ . والديارات ص ٦٠ .
(٥) أي وقع الخليفة أمراً بالقبض على الزنادقة ومعاقبتهم .
(٦) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩١ ونكت الهميان ص ٢٦٧ .
(٧) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٥ ونكت الهميان ص ٢٦٨ .

وهذه النادرة الأخرى وفيها يقول أبو العيناء : إنه يخشى أن تلحقه تهمة كانت تلحق كثيراً من مترفي عصره وكانت تصيب بعضهم : ولو كان أبو العيناء على درجة عالية من التدين لما لحقته مثل تلك التهمة .

قيل لأبي العيناء : لِمَ اتَّخَذْتَ خادِمَيْنِ أَسْوَدَيْنِ ؟ قال : أمّا أَسْوَدَانِ فلئلا أُتَّهَمَ بهما ، واما خادمان [1] فلئلا يتهما بي [2] .

واعترف أبو العيناء بشيء من العقوق لوالده وان كان أخرج ذلك مخرج الهزل ورواه ليضحك الناس على الوالد الذي يكون شديداً على أولاده .

فقد قال أبو العيناء : أنا أول مَنْ أظهر العقوق بالبصرة ، قال لي أبي : يا بُنَيَّ : إنَّ الله تعالى قرن طاعته بطاعتي ، فقال : (اشْكُرْ لي ولِوالِدَيْكَ) فقلت له : يا أبتِ ، إن الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك عليَّ فقال تعالى : (ولا تقتلوا أَوْلادكم خَشْيَةَ إمْلاَقٍ) [3] .

وإذا كان عقوق والده صحيحاً فان ابنه قد اقتص لوالد أبي العيناء من ابنه اذ رووا أنَّ أبا العيناء قال لابنه وهو مريض : أي شيء تشتهي ؟ قال : اليتم [4] . أي : أن يصبح يتيماً ومعنى ذلك أنه يتمنى لأبيه الموت وقد وردت آثار عدة على أن من عق أباه يعقه ابنه [5] .

ولقد هجاه بعض شعراء عصره بقلة التدين ، ولكن الذين هجوه هم

---

(١) خادمان هنا معناها مجبوبان . وقد صرح بذلك الثعالبي في اللطائف والظرائف ص ٧٦ . والراغب في محاضراته ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٨ . ونكت الهميان ص ٢٦٨ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٩ . والبصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٩٩ وزهر الآداب ج ٣ ص ٢١٩ . ونكت الهميان ص ٢٦٩ . وجمع الجواهر ص ٢٤٤ . والغيث المسجم ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٤) جمع الجواهر ص ٢٨٢ .

(٥) أوردنا جملة صالحة منها في كتابنا (الأمثال العامية في نجد) عند ذكر المثل (البر سلف) فراجعه ان شئت .

من يستحقون الهجاء بقلة التدين أكثر منه ، إذ بعضهم من المشهورين بذلك كالحمّاز الذي قال فيه (1) :

كَذَبُوا ليس أبو العيناء في الكفر دَعِيّاً
ظلموا البائس ما زال من الله بَرِيّاً
وبذا نعرفه مذ كان ، لا كان ، صبيّاً
فاخبروه تجدوه بالذي قُلْتُ مَلِيّاً

وأحمد بن أبي طاهر في قوله من مقطوعة في ذم أبي العيناء (2) :

قد طبع اللهُ على قلبه فالكفر مُسْتَوْلٍ على طبعه

ووصمه بعضهم بشيء آخر في بيتين لم نشأ ايراد الثاني منهما لإقذاعه وهما لأبي عمر السراج وأولهما (3) :

جاد أبو العيناء فيما اشتهى من لَذّة العيش بلا مَرْزِيَة

أما محمد بن عروس فقد تناول بالهجو نواحي عدة من شخصية أبي العيناء ، ثم أجمل ذمه إجمالاً مما لا يدع مجالاً للشك في أنه لم يتحر الحقيقة في قوله (4) :

ظرف أبي العيناء مملول ودينه لا شك مدخول
وليس ذا علم بشيء ولا له اذا حَصَّلْتَ محصول
ما هو الا جملة غثّة وليس للجملة تفصيل

(1) نور القبس ص ٣٢٤ .
(2) ذكرت في فصل .. بلاغة أبي العيناء ..
(3) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٠٦ .
(4) فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٩ (طبعة محي الدين عبد الحميد) .

شِعرُ أبي العَيناء

لأبي العيناء شعر جيد أوصله إلى مرتبة الشعراء المعترف بهم ، وان كان مُقِلاً من الشعر ولم يشتهر بشعره لأنَّ شهرته بنوادره وذكائه غطّت على ذلك :

وقد أفرد له الإمام المزرباني ترجمة في معجم الشعراء ووصفه بأنه قليل الشعر جداً وذكر له شاهداً شِعرياً واحداً قال رواه الصولي له عن المُبَرِّد :

لعمري لئن كانت نواكم تباعدت لما قرّ بنيا [1] منكم الدار أطول
فإن تأبِيَّ الدار عنكم فمبلغ الينا ، وان كان التبصر أجمل [2]

وهذا الشاهد كما ترى رَثٌّ ان لم نقل انه غَثٌّ ، ولأبي العيناء مقطوعات شعرية جيدة سيأتي إيرادها فيما بعد عن غير المرزباني .

ونعته ياقوت بأنه الأخباري الأديب الشاعر . ثم ذكر في آخر ترجمته مختارات من شعره [3] . وقال ابن خلكان : له أخبار حسان ، وأشعار ملاحٌ مع أبي علي الضرير [4] . ووصفه ابن النديم بأنه كان فصيحاً بليغاً شاعراً . ثم ذكر أن لأبي العيناء شعراً جمع في كتاب اسمه « شعر أبي العيناء » .. وهو في نحو ثلاثين ورقة [5] .

(١) ربما كان الصحيح (لما قربتنا) .
(٢) معجم الشعراء ص ٤٤٨ .
(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٦ .
(٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٥) الفهرست ص ١٨٧ .

وهذا دليل على أن أبا العيناء مقل من الشعر اذ ثلاثون ورقة ليست بالحجم الكبير لشعر جمع في وقت ليس ببعيد من وقت الشاعر .

قال في ذم الزمان [1] :

تولّتْ بهجةُ الدنيا فكل جديدها خَلَقُ
وخان الناس كلهُمُ فما أدري بمنْ أثِقُ

وفي الشكر والثناء :

رأيت معالم الخيرا ت سُدَّتْ دونها الطرُق
فلا حسَبٌ ولا أدَبٌ ولا دِينٌ ، ولا خُلُقُ

أنشد الثعالبي لأبي العيناء [2] :

شكرك معقود بإيمان حكّمَ في سِرّي وإعلاني
عقْد ضمير ، وفم ناطق وفعل أعضاء وأركان

وفي الصداقة والإخوانيات [3] :

لعمرك ما حقُّ امرىء لا يَعُد لي على نفسه حَقّاً عليَّ بواجب
وما أنا للنائي عليَّ بوُدّه بوُدّي وصافي خُلّتي بمقارب
ولكنه ان مال يوماً بجانب من الصّدّ والهجران ملت بجانب

شعره في الهجاء : طبيعي أن يكون لأبي العيناء شعر في الهجاء ما دام شاعراً مذكوراً بشعره لأنّ نثره كثير منه كان في الهجاء ، أو كان قوارص كلم ساخرة وقعها على النفس أعظم من وقع الهجاء الشعري التقليدي الذي اشتهر عنه بعض الناس كأنه لا يزيد على كونه صنْعة من الصنائع .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٣ .
(٢) المنتحل ص ٨١ .
(٣) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٣٧ .

فمن ذلك قوله يهجو أسَدَ بنَ جَوْهرٍ :

تَعِسَ الزَّمانُ لقد أتى بعُجَابِ ... ومَحَا رُسُومَ الظَّرْفِ والآدابِ
وافى بِكُتَّابٍ لو انبَسَطَتْ يدي ... فيهم ، رَدَدْتُهُمُ إلى الكُتَّابِ
جِيلٌ من الأنعام إلاَّ أنَّهُمْ ... مِنْ بينها خُلِقُوا بلا أذْنَابِ
لا يَعْرِفون إذا الجريدة جُرِّدَتْ ... ما بَيْنَ غَيَّابٍ إلى عتَّابِ
أو ما ترى أسَدَ بن جوهرَ قد غدا ... مُتَشبِّهاً بأجِلَّةِ الكُتَّابِ
فاذا أتاه سَائِلٌ في حاجة ... رَدَّ الجوابَ له بغيرِ جَوَابِ
ثكلَتْكَ أمُّكَ ، هَبْكَ مِنْ بقرالْـ ... ـفَلا ما كنت تغلَطُ مرةً بِصَوابِ[1]

وقال في هجاء الوزير أحمد بن الخَصِيب :

قُلْ للخليفة يا ابنَ عمِّ محمد ... إشْكِلْ وزيرك إنّه رَكّالُ[2]
قد أحجم المتظلمون عنه مخافةً ... منه ، وقالوا : ما تَرُومُ مُحَالُ
ما دام مُطْلَقَةً علينا رِجْلُهُ ... أو دام لِلنّزق الجَهول مَقَالُ
قَدْ نال مِنْ أعراضنا بلسانه ... ولرجله بين الصدور مَجَالُ
إمْنَعْهُ مِنْ رَكْلِ الرجال وإن تُرِدْ ... مالاً ، فعند وزيرك الأموالُ[3]

وقال في الشكوى :

الحمد لله ليس لي فَرَسٌ ... ولا على باب منزلي حَرَسُ
ولا غُلامٌ إذا هَتَفْتُ به ... بادر نَحْوِي كأنّه قَبَسُ
إبني غُلامي ، وزوجتي أمَتِي ... مَلّكنيها المِلاكُ والعُرُسُ
غَنِيتُ باليأس ، واعتصمت به ... عَنْ كُلِّ فَرْدٍ بوجهه عَبَسُ
فما يَراني ببابه أحَدٌ ... طَلْقَ المُحَيّا سَمْحٌ ولا شَرِسُ[4]

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٣ وغرر الخصائص ص ١٣٧ وفيه زيادة بيتين .
(٢) أشكله ، أي وضع فيه الشكال ، وهو حبل تقيد به الدابة ، وركال ، يركل الناس برجله .
(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٤ .
(٤) المصدر نفسه .

وأنشد ابن المعتز لأبي العيناء وقال انه مما يستحسن له قوله في علي بن الجهم :

أراد ابن جهم أن يقول قصيدة بمدح أمير المؤمنين فأذّنا
فقلتُ له : لا تعجلنْ بإقامة فلستُ على طُهْرٍ ، فقال : ولاأنا

قال ابن المعتز : وقد روى الناس أن هذين البيتين لمروان . وليسا ذلك بشيء [1] وقد أكد نسبتهما إلى أبي العيناء الشابشتي حيث رواهما له جازماً [2] .

ومن شعره في المال [3] :

مَنْ كان يملك درهمَيْنِ تعلّمتْ
شفتاهُ أنواعَ الكلام فقالا
وتقدَّم الفصحاءُ فاستمعوا له
ورأيتَه بين الورى مُختالا
لولا دراهمُهُ التي في كيسه
لوَجدْتَه شرَّ البريّةِ حالا
إنَّ الغنيَّ إذا تكلّمَ كاذبا
قالوا : صدَقْتَ . وما نطقْتَ مُحالا
واذا الفقير أصاب . قالوا : لم يُصِبْ
وكذَبْتَ يا هذا . وقُلْتَ ضلالا
إنَّ الدّراهم في المواطن كلها
تكسو الرجال مهابةً وجلالا
فهي اللسان لِمَنْ أراد فصاحةً
وهي السِّلاح لِمَنْ أراد قتالا

---

(١) طبقات الشعراء ص ٤١٦ .
(٢) الديارات ص ٥٦ – ٥٧ .
(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .

ومن شعره الفلسفي (١) :

يا وَيْحَ هذي الأرض ما تصنع
أكُل حَيٍّ فوقها تَصْرَعُ ؟
تَزْرَعُهُم حتى إذا ما أتَوْا
أشُدَّهُمْ تحصد ما تَزْرَعُ

وقوله في الدنيا (٢) :

مذمومة بالهم مخطوبة سَمٌّ ذُعافٌ درُّ أخلافِها
ولم تزل تقتل ألاّفها أفٍّ لِمَنْ تقتُل ألاّفها

وقال في الفخر (٣) :

ألَمْ تَعْلَمي يا عَمْرَكِ اللهُ أنني
كريم على حينِ الكرامُ قليل
وإنّي لا أخزَى إذا قيل مُقْتِرٌ
جَوادٌ ، وأخزَى أن يقال : بخيلُ
وإن لا يكن عظمي طويلاً فإنني
له بالخصال الصالحات وَصُولُ
إذا كنتُ في القوْمِ الطِّوالِ فَضَلْتُهُمْ
بطَوْلي لهم حتى يقال طويلُ
ولا خير في حسن الجسوم وطولها
اذا لم يَزِنْ طُولَ الجسوم عقُولُ
وكائن رأينا من جسوم طويلة
تموت إذا لم تحيهنَّ أصُولُ

(١) المصدر نفسه ص ٣٠٦ .
(٢) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٦٨ .
(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .

ولم أَر كالمعروف ، أما مذاقــــه
فَحُلْوٌ ، وأما وَجْهُهُ فجميلُ

وذكر الشابشتي أن أبا العيناء قال في التشفي من رجل عزل عن عمل كان يتولاه :

قــل لزيــد بن صــــاعــد   جاءكَ العزل في لطــف
فاجْــرَع الهَــمَّ واصْطَبِرْ   فعلى رَبِّكَ الخَلَـــفْ
أنــت أيضــاً إذا وَلِيــتَ   فــلا تكــثر الصَّلَفْ [1]

وفي المطل وخلف الوعد أنشد له الثعالبي [2] :

إني لأعجب بل فعــالك أعجب   من طول ترداديَ ، إليك وتكذب
وتقول لي قولاً أظنك صادقــاً   فأجيء مِنْ طمع إليك وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس   قالوا : مسيلمةٌ ، وهذا أشعبُ

مع ما ذكرنا من شعر أبي العيناء في هذا الفصل وفي فصول متفرقة في الكتاب ومنه مقطوعات في فصل عماه ، فإننا نجد ياقوتاً رحمه الله يقول في كتابه معجم البلدان : ان أبا العيناء قليل الشعر جداً لم يصح عندي له شيء من الشعر البتّة [3] .

هذا مع أنه أورد له تسع قطع شعرية في ترجمته من معجم الأدباء فإما أن تكون العبارة مقحمة أو يكون ياقوت كتبها قبل أن يصل علمه إلى القطع التي أوردها مع أن عدداً من المؤلفين نظموا أبا العيناء في سلك الشعراء ، ومنهم المزرباني صاحب المعجم كما تقدم ، ومنهم معاصر أبي العيناء وهو ابن المعتز حيث أورد أخباره في كتابه طبقات الشعراء ، وأنشد من شعره بيتين نقلناهما

(١) الديارات ص ٥٥ .
(٢) نثر النظم ص ٣٦ .
(٣) معجم البلدان : رسم دير باشهرا ج ٢ ص ٤٩٩ .

في هذا الفصل إضافة إلى المراجع العديدة التي ذكرت شعر أبي العيناء أو التي وصفته بأنه شاعر .

بل ان بعضهم أورد له شعراً قاله على البديهة ودون تروٍّ أو إعمال فكر وذلك ما لا يتأتى لكثير من الشعراء المكثرين فضلاً عن غيرهم وذلك في بيتين أوردناهما مع قصتهما في فصل (بديهيته) .

أما وصفه بأنه شاعرٌ أوَّ انَّ له شعراً أوْ أشعاراً أو نسبة شعر إليه فهذا فيه عدة نصوص إلى جانب ما صرح به ابن النديم من أن شعره جمع فبلغ ثلاثين ورقة وابن النديم أعلم بحال شعر أبي العيناء لقربه من زمانه نسبياً من ياقوت الذي هو أبعد زمناً عنه .

ومن الذين وصفوه على سبيل الاجمال بالشعر الحافظ ابن حجر إذ قال : له أخبار حسان واشعار [1] .

وقال الامام الدارقطني : كان أبو العيناء حسن الشعر ، جيد العارضة ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان ، كثير التعريض بذم [2] .

ووصف أبو بكر الزبيدي أبا العيناء بأنه كان أديباً ظريفاً شاعراً [3] وقال الشابشتي : كان حسن الشعر [4] وهذا إثبات لكونه شاعراً بطبيعة الحال .

وقال اليافعي : أبو العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ... له أخبار حسان ، وأشعار ملاح [5] .

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ .
(٢) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٦ .
(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٧ .
(٤) الديارات ص ٥٣ و ص ٦٠ .
(٥) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٦ .

رسائل أبي العيناء

لأبي العيناء رسائل بليغة اللفظ . رائعة المعنى . فاتنة السبك وفقاً لمعايير الكتابة الفنية في ذلك العصر حتى صعد به بعضهم إلى رتبة عالية في الكتابة بحيث ضاهاه بعبد الحميد الكاتب الذي سار بكتابته المثل حتى قيل : افتتحت الكتابة بعبد الحميد . واختتمت بابن العميد ..[1] . الا أن أبا العيناء لم يكن فيما يظهر من كلامهم من أنصار الكتابة للكتابة أو (الفن للفن) وانما كان يجيد الكتابة إذا كان من ورائها غنم مأمول .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن أبا العيناء دون عبد الحميد في الكتابة إذا أحَسَّ بكرم قد كذب[2] . وذلك أنه كتب إلى عبد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد وهما يُطالَبان بمال يبيعان له ما يملكان من عقَارٍ وأثاث وعَبْد وأمَة . وكان لهما خادم أسود عرضاه للبيع فَطلِبَ بخمسين ديناراً فكتب إليه أبو العيناء :

وقد علمت ــ أطال الله بقاءك ــ أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور ، لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً ؛ ولا تزيد المحنة الكريم إلا كرماً ، هذا مُتَكِلٌ على رازقه ، وهذا يسيء الظَّنَّ بخالقه ، وعَبْدُكَ إلى ملك كافورِ الخادم فقيرٌ ، وثمنه على ما اتّصل به يسير ، فإن سمحت به فتلك منك عادتي ، وان أمرت بأخذ ثمنه فمالُهُ منك مادتي ، أدام الله لنا ولك ، واستقبل بالنعمة نكبتك ، وأدام عزَّكَ وكرامتك . فوَجَّهَ إليه بالخادم[3] .

---

(١) غرر الخصائص ص ٩٣ .
(٢) في زهر الآداب .. ظلم .. بدل : كذب ...
(٣) البصائر والذخائر ، مجلد ٢ ص ٥٤٤ – ٥٤٥ (طبع دمشق) وزهر الآداب ج ١ ص ٣٢٥ .

وقال النويري : ولأبي العيناء نوادر وحكايات مستظرفة ، ومراسلات عجيبة [1] .

وقال الشابشتي : كان جيد العارضة ، مليح الكتابة والترسل [2] .

وقال في موضع آخر : كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة [3] .

وقيل : كتب أبو العيناء إلى ابن الوليد يستجديه :

مَسَّنَا وأهلَنا الضُّرُّ ، وبضاعتنا الود والشكر ، فان لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات فان أُعْطُوا منها رضوا وان لم يُعْطَوْا منها اذا هم يَسْخَطُون » [4] .

وهذه رسالة كتبها أبو العيناء إلى محمد بن مكرم جواباً على رسالة من ابن مكرم إليه وعاب أبا العيناء فيها بقلة شكره للمعروف . ولن نورد نص الرسالة لأن فيها طولاً وإسفافاً في اللفظ وتجريحاً في بعض المواضع وانما نلخصها هنا مع الاشارة الى موضعها في الكتاب الذي نقلنا منه ليتمكن من يريد أن يقرأها كاملة أن يرجع اليه .

كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم :

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنت كما قال الإلـــه ، فإنّمــا　　　أتيت بلفظ ضعفه فيك موجد

أما بعد : فقد وصل إليّ كتابك سَبُّكَ وَعَرُّكَ . وأنت امرؤ من أهل ماذاريا [5] وهناك حَلّتْ بك الخزايا ، من غير نقص لأهلها ، ولا دفع لفضلها ، لأنك تحبّها وتشنؤك ، وتنتمي اليها وتدفعك . وانّ امرأً مَكْرَمٌ أبوه لجدير

---

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٨ .
(٢) الديارات ص ٥٣ .
(٣) الديارات ص ٦٠ .
(٤) غرر الخصائص ص ٩٣ .
(٥) ماذاريا : قرية بالقرب من البصرة في العراق .

عند الفخر أن يفغر فوه ، وأما أمك فمرأة من المسلمات الغافلات والغفلة مقرونة بالخير . والعجب لك ولأخيك أنكم قوم قد أظهرتم الدّف وتقرتم الدُّف . وأكثرتم الطعن . وادعيتم الآثار [1] فلما احتيج منكم إلى اللقاء ، وتنجز منكم الوفاء . انهزم الجمع ، ووليتم الدبر : فقبحاً لكم آل مكرم ، قبحاً يقيم ويلزم :

فلسنَا على الأعقاب تدمى كُلُومكم ولكن على اعجازكم يقطر الدَّمُ

فيا بؤس للعروس وازارها الذي لم يحلل[2] وفرعها الذي لم يبلل، وللظبية الغريرة وطرفها الفتّان ، وقولها للأتراب : أما لأل مكرم من [3] ...

وقد زعمت النساء — غير ما إفك — أنك وأباك وأخاك جند ما هنالك مهزوم من الأنباط .

وذكرت أنك لا تعرف لمعروف طريقاً أحزن ولا أوعر من طريقه إليَّ ، ولا مستزرعاً أقلَّ زكاء . ولا أبعد من ثمرة خير من مكانه عندي ، فلو كان ما وصفتَ على ما ذكرت لما لحقك كُفْرُ إنعام ، ولا شكر إحسان . لقصور جدتك [4] عن الفضل ، وهمك عن الأفضال ، بلى ؛ استغفر الله : لو وجدتَ فضلاً لوَجّهْتَ به إلى العاملين عليها ، أعني أمَّ الفَلَك ، القاضية عليك بالمَلَك ، وأين أنت فيلحقني اكرامك ؟ أو ينالني إنعامك ؟ هيهات جَلَّ الأمر عن الحزَن ، وعفى السيل والعطن ، هذا مع دنس أثوابك ، ووضر أطرافك ؛ ونتن روحك .

وزعمت أن المعروف يحصل مني في حَسَبٍ دنيء ولسان بذيء ، فانظر — لك الويلات ، كيف ارتقيتَ ، والى مَنْ تَعَدَّيْتَ . وهل فوق رسول الله ﷺ مفخر ، وهل عن خلف الله مَرْغبٌ ؟ ولولا عدل سلطاننا ، وفضل

---

(١) الآثار : جمع أثر وهو هنا أثر الجرح .
(٢) هذا كناية عن عدم كال الرجولة .
(٣) ذكر كلمة صريحة في اسم متاع الرجل حذفناها .
(٤) جدتك : قدرتك المالية .

أحلامنا ، وان الاقتدار يمنع الحر من الانتصار ، مع دفنك [1] عن المجازاة ، وسقوطك عن الملاحاة ، لاصطلمك مني الاعترام ، فاشكر لؤمك إذ نجاك ؛ وخصمك إذْ رفع قدره عنك . وأما البذاء ، فما أعتَذِرُ اليك من إقماع اللئيم ، وتعظيم الكريم . ولذلك أقول :

إذا أنا بالمعروف لم أثْنِ صادقـــاً ولم أشْتِمِ الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشرَّ باسمه ؟ وشقَّ ليَ اللهُ المسامع والفما [2]

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان – الوزير – :

أنا أعزّك الله تعالى وولدي وعيالي زرع من زرعك . إنْ سقيته راع وزكا ، وان جفوته ذَبُل وذوى . وقد مَسَّنِي منك جفاء بعد بر . وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عَدوٌّ ، وشمت حاسد ، ولَعِبَتْ بي ظنون رجال كنتُ بهم لاعباً ، ولهم مُجَرِّساً ، ولله دَرُّ أبي الأسود في قوله :

لا تُهنِّي بعد إذْ أكرمتـــني فَشَدِيدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَة [3]

وهذه مقتطفات رسالة أخرى :

كان محمد بن عبد الله بن خاقان قد حمل أبا العيناء على بِرْذَوْنٍ [4] ، زعم أبو العيناء أنه غير فاره [5] فكتب إلى أبيه عبيد الله بن خاقان الوزير :

أُعْلِمُ الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرّني فعقّني ؛ وأن يُرْكِبَنِي فَأرْجَلَنِي [6] ؛ أمر لي بدابة تقف للنَبْرة ؛ وتَعْثُرُ بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، وكالعاشق المجهودَ دَنَفاً ، حباقه [7]

---

(١) الدفن : السّر والمواراة .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٩ – ٤٢ .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٦ . وعيون الأخبار ج ٣ ص ١٩٥ .
(٤) البرذون : فرس غير عربية .
(٥) دابة فاره : سريعة العدو .
(٦) أرجلني ، أي : تركني راجلا وهو الذي يسير عل رجليه .
(٧) حباقه : ضراطة .

مقرون بسعاله ، فلو أَمْسَكَ لتَرَجَيْتُ أو أفرد لتَعزَّيتُ ، ولكنه يجمعهم في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان . ويتناغى من فعله الصبيان ، فمِنْ صائح يصيح : داوه بالطباشير . ومن قائل يقول : نَق له من الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، فلو أُعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي .

وانما أتيتُ من كاتبه (١) الأعور . الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، واذا اختار لغيره أخبث وأنْزَر . فان رأى الوزير أن يُبْدلني ويريحني بمركوب يُضحكني كما يُضحكَ مني . ولست أرد إكرامه . سرجه ولجامه ؛ لأن الوزير اكرم من أن يسلب ما يهديه . أو ينقض ما يمضيه . فوجّه إليه عبد الله برْذَوْناً من براذينه بِسَرْجه ولجامه . ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله لأبي العيناء : شكوتَ دابّة محمد . وقد أخبرني أنه يشتريه منك الآن بمائة دينار . وما هذا ثمنُهُ فلا يُشْتَكى .

فقال أبو العيناء : أعزَّ الله الوزير: لو لم أكْذِبْ مُستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً . واني واياه لكما قالت امرأة العزيز (الآن حَصْحَصَ الحق أنا راوَدْتُهُ عن نفسه . وإنّه لَمِنَ الصادقين) . فضحك عبيد الله ؛ وقال : حجتك الداحضة بملاحتك ، وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة .

هكذا أوردها النويري (٢) ومصدره الحصري (٣) ، وعلى بعض عباراتها وسجعاتها مخايل صنعة القرون المتأخرة واضحة ظاهرة .

من رسالة له إلى أبي الصقر الوزير :

قال الحصري : كتب أبو العيناء إلى أبي الصقر كتاباً مُتَضمّنُهُ : أنا

---

(١) كاتبه أي : كاتب محمد بن الوزير عبيد الله بن خاقان .
(٢) نهاية الأرب ج ٤ ص ٧٠ – ٧١ .
(٣) جمع الجواهر ص ٣٥٢ . وزهر الآداب ج ٢ ص ٢٥٤ وهي أيضاً في شرح المقامات للشريشي ج ٤ ص ٥٢ . وجزء منها في محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٨٩ .

أعز الله الوزير طليقك من الفقر ، ونقيذك من البؤس . أخذت بيدي من عثرة الدهر ، وكبوة الفقر ، وعلى أية حال حين تفدت الأولياء والأشكال ، والإخوان والأمثال الذي يفهمون في غير تعب ، وهم الناس كانوا غياثاً للناس ، فحللت عقدة الخَلّة ، ورددت إليَّ بعد النفور النعمة ، وكَتَبْتَ إلى الطائي كتاباً فكأنما كان منه إليك ، أتيتُهُ وقد استصعبت عليَّ الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثّر مِنْ بِشْره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومِنْ برّه أحكمه . ولم يزل مُكْرِماً لي مدة ما أقمتُ ، ومُثْقِلاً لي من فوائده لمّا ودَّعْتُ . حَكَمَني في ماله فتَحَكّمْتُ وأنت تعرف جوري إذا تَمَكّنْتُ ، وزادني مِنْ طَوْلِه فشكرتُ ، فأحسن الله جزاءك ، وأعظم حِباءَك [1] ، وقَدَّمني أمامك ، وأعاذني مِنْ فقدك وحِمامك [2] وقد انفقتَ عليَّ ما مَلّكَكَ اللهُ . وأنفقْتُ من الشكر ما يَسّرَ الله لي ، والله عز وجل يقول : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِه) فالحمد لله الذي جعلك اليد العليا ، والرتبة السامية ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بَسَطَ لها مِنْ عَدْلك ، وبَثَّ فيها مِنْ رِفْدِك [3] .

وكان من خبر هذه الرسالة أن أبا الصَّقْر لمّا ولي الوزارة خَيّرَ أبا العيناء فيما يحبه حتى يفعله به ، فقال : أريد أن تكتب إلى أحمد بن محمد الطائي تعرّفه مكاني ، وتلزمه قضاء حق مثلي ، فكتب إليه أبو الصقر كتاباً بخطه ، فوصَّله إلى الطائي ، فَسبّبَ له في مدة شهر مقدار ألف دينار ، وعشرة أجمل ، فانصرف بجميع ما يحبه ، وكتب إلى أبي الصقر هذه الرسالة [4] :

من رسالة لأبي العيناء في تهنئة ذمي بإسلامه :

ولتهنئك نعمة الله عليك في أخوة المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والحمد لله الذي فوَّز قِدْحك [5] وأعلى كَعْبَك ، وأنقذ من النار

---

(١) الحباء : بكسر الحاء : العطاء .
(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت .
(٣) جمع الجواهر ص ٢٤٣ – ٢٤٤ . وربما كان مصدره البصائر والذخائر فهي فيه . ج ١ ص ٨٥ (طبع دمشق) .
(٤) زهر الآداب ج ٣ ص ٢١٥ .
(٥) القدح بكسر القاف : السهم .

شلْوكٌ . وخلّصك من لبس الشّكّ ، وحيرة الشُّرْكِ ، فأصبحت قد استَبْدَلْتَ بالأديار المساجد ، وبالآحادِ الجُمَعَ ، وبقبلة الشّام البيتَ الحرام . وبتحريف الإنجيل . صحة التنزيل ، وبأوثان المشركين قبلةَ المُوحّدين وبحكم الأسقُفً رأس الملحدين ، حُكْمَ أمير المؤمنين وسَيّدِ المرسلين ، فهنأك الله بما أنعم به عليك . وأحسن فيه اليك . وذكّرك شكره ، وزادك بالشكر مِنْ فضله [1] .

هذه جملة من رسالة له في الاهداء :

قال الثعالبي : كتب أبو العيناء إلى بعض الوزراء : قد بعثت إلى الوزير بباكورة [2] عنب . فان كنتُ سبَقْتُ المُهْدِين بها ، فلي فَضْلُ السّبْقِ ؛ وإنْ كنتُ مسبوقاً فلي فضل النيّة [3] .

* * *

(١) صبح الأعشى ج ٩ ص ٧٤ .
(٢) باكورة الثمرة : أول ما يطيب منها .
(٣) اللطائف والظرائف ص ١٠٠ .

مؤلفات أبي العيناء

رغم ما ذكر عن أبي العيناء من الأخبار والأشعار والنوادر. وما روي عن طريقه من المعارف اللغوية والأدبية، فانه لم يكن مذكوراً عند العلماء بالتآليف ولذلك لا نكاد نجد من ترجموا له يذكرون أنه ألّف كتباً ما عدا ما ذكروه من أنه ألف كتاباً في مثالب ابن الخَصِيب، ولكنهم لم يذكروا عنوان الكتاب مجرداً، ولم يذكروا الكتاب إلا في معرض الكلام على لسن أبي العيناء. واجترائه على ثلب الرؤساء. وقد ذكرت قصة تأليفه ذلك الكتاب في صيغ مختلفة من حيث الطول والقصر مرجعها إلى أن بعضهم أكثر من النقل من الكتاب وبعضهم أقَلّ. وهذا ما ذكره ياقوت. قال:

وضع أبو العيناء كتاباً في ذم أحمد بن الخَصِيب حكى فيه أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس، وكل منهم يكره ابن الخَصِيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتَغَفُّل، فتجاذبوا أطراف المُلَح في ذمه، فقال أحدهم: كان جهله غامراً لعقله. وسفهه قاهراً لحلمه. وقال آخر: لو كان دابّةً لتقاعس في عِنَانِهِ، وحَرَنَ في ميدانِه، وقال آخر: كنت إذا وقع لفظه في سمعي، أحسست بالنقصان في عقلي. وقال بعض كُتّابه: كنت أرى قلم ابن الخصيب، يكتب بما لا يصيب. ولو نطق لنطق بِنَوْكٍ عجيب [1].

وقال آخر: لو غابت عنه الدنيا لَنَسِيَهَا.

قال ياقوت: وقال أبو العيناء في آخر هذا التصنيف: كان ابن الخَصِيب إذا ناظر شَغَبَ، وربما رفس مَنْ ناظره إذ عجز عن الجواب، وخَفِيَ عليه الصّوَاب، واستولت عليه البلادة، وعَرى كلامه عن الإفادة، وكان إذا

(١) النوك: الحمق.

دنَوْتَ منه عرّك . وانْ بَعُدْتَ عنه ضَرّك ، فحياته لا تنفع ، وموته لا يَضُرُّ [1] .

وقد أورد الحصري قدراً منها أطول من هذا بل ربما زاد على ضعفيه [2] ، وهي كلها طريفة اولا طولها وإيغالها في السب لأوردناها كاملة .

ولم يذكر ابن النديم الذي هو يستقصي ذكر المؤلفات في العادة لأبي العيناء إلا كتاباً اسمه أخبار أبي العيناء عمله أحمد بن أبي طاهر وهو من معاصري أبي العيناء . وكتاب شعر أبي العيناء في نحو ثلاثين ورقة [3] .

وهذان الكتابان فيما يظهر ليسا من تأليف أبي العيناء وانما هما من تأليف غيره في أخباره وشعره .

* * *

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٩ – ٣٠٠ . وغرر الخصائص ص ١٣٧ .
(٢) جمع الجواهر ص ٢٠٧ – ٢١٠ . وزهر الآداب ج ٣ ص ٢١٦ – ٢١٧ .
(٣) الفهرست ص ١٨٧ .

فلسفة أبي العيناء

إذا تصفحنا الأخبار ، والأقوال الكثيرة التي نقلت عن أبي العيناء من قوله نجد أن أكثرها طرائف بليغة ، ونكت عجيبة ، وألفاظ رائعة ، ولكننا لا نجد فيها الكثير مما يدل على نظرة له خاصة إلى الحياة والأشياء ولا على فلسفة له خاصة في نواحيها الهامة ، بل ربما صح القول من استقراء النصوص التي رويت عنه أن أكثر همه كان الحصول على المال ، وان أكثر تحاوله كان لحيازة أكثر ما يستطيع حيازته منه .

وسوف نستعرض هنا بعض ما أثر عنه من أقوال قد تدل على نظرة خاصة إلى الأشياء بمنظار فلسفي متأمل .

قال أبو العيناء : إذا أراد الله أن يُسلّط على عبده عدواً لا يرحمه سلّط عليه حاسداً (١) .

ودخل أبو العيناء يوماً إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فلم يرفع طرفه إليه ، ولا كَلّمَهُ فقال أبو العيناء : ان من حق نعمة الله عليك لما أهّلكَ له في الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة اليك خُلُقاً ، فإنّ مَنْ أوحش انقبض من المسئلة ، وبكثرة السؤال مع النجح يدوم السرور ، وبقضاء الحاجات تدوم النعم (٢)

قيل لأبي العيناء : لا تعجل ، فان العجلة من الشيطان ، فقال : لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله موسى عليه السلام : (وعجلت إليك رب لترضى) (٣)

---

(١) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٢٣ .
(٢) الديارات ص ٥٤ — ٥٥ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ١٩ واللطائف والظرائف ص ٤٨ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٠ .

وقال الخليفة المتوكل لأبي العيناء يوماً : يا محمد ، إلى كم تمدح الناس وتَذُمُّهم ؟ فقال أبو العيناء : ما أساءوا وأحسنوا [1] .

وهذا الجواب الذي لا نظن أن أبا العيناء قصد به الا الزام الخَصْم ، وليس بيان اعتقاده في حقيقة الأمر وهو قول أبي العيناء :

جمعني ورسولَ ملكِ الروم مجلسُ المتوكل ، وقد أحضر الشراب ، فقال الرسولُ : ما لكم حرم عليكم الخمر ولحم الخنزير ، فشربتم الخمر وتركتم لحم الخنزير ؟ فقلت : ان لحم الخنزير لما حُرِّمَ وُجِدَ خَيرٌ منه الحُمْلان والجُديُ [2] ، فاستُغْنِيَ عنه ، والخمر لم يوجد خير منها فكان يُسْتَغْنى به عنها [3] .

ان ايراد هذه الاجابة لأبي العيناء ليس من باب إقرار مضمونها ، ولكنه من باب التعسف في التماس الحجة الواهية لفعل تصعب البراءة منه ، وإلا فأي خير في الخمر لا يوجد في شيء حلال . وقد أثبت الباحثون في اصلاح المجتمعات في الغرب كثرة اضرار الخمر على النفس والمال والبدن . وحذروا منها قومهم . ولكن الشهوة إلى النشوة ، وفراغ القلوب من الاطمئنان النفسي هي التي جعلتهم لا يصغون إلى النصح ، ولا يلتفتون إلى التحذير .

وروى ابن الجوزي عن محمد بن يحيى الصُّولي . قال :

دخلتُ على أبي العيناء في آخر عمره ، وقد كُفَّ بصره ، فسمع صرير قلمي على الدَّفْتَر . فقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبدك وابن عبدك محمد بن يحيى الصُّولي . قال : بل ولدي ، وابن أخي ، ماذا تكتب ؟ فقلت : جعلني

(١) الديارات ص ٥٤ .

(٢) الحملان : جمع حمل ، وهو الصغير من الضأن ، والجدي : جمع جدي ، وهو الصغير من الماعز .

(٣) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٠ .

الله فداءك شيئاً من النحو والتصريف ، فقال أبو العيناء : النحو في الكلام . كالملح في الطعام . فإذا أكثرت منه صار القدر زعاقاً .

يا بُنَيّ ، إذا أردتَ أن تكون صدراً في المجالس ، فعليك بالفقه . ومعاني القرآن ، وإذا أردتَ أن تكون مُنادماً للخلفاء ، وذوي المروءة والأدباء . فعليك بنتف الأشعار ، ومليح الأخبار [1] .

رأى بعضهم أبا العيناء وهو يضاحك نصرانياً ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فقال أبو العيناء : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) [2] .

* * *

(١) المنتظم ج ٥ ص ١٦٠ .
(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٢ وصرح بأن القائل لأبي العيناء هو زرقان ، وتمام الآية التي تلاها أبو العيناء (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين) سورة الممتحنة — .

أبو العيناء والمرأة

تَشحُّ النصوص التي تبين لنا رأي أبي العيناء في المرأة والحب ، وعلاقة أبي العيناء الشخصية بها حتى لا نستطيع أن نكوّن رأياً خاصاً له فيها من خلال تلك النصوص — ولكننا سنذكر هنا بعض ما له علاقة بالحب مما سُجِّل عن أبي العينـــاء .

قالت له : قينةٌ : هَبْ لي خاتمك وأذكرك به ، فقال لها : اذكري أنك طلبته مني وَمَنَعْتُكِ [1] .

أرأيت رجلاً تطلب منه قينة وهي الجارية المغنية وهي أحياناً تكون على غاية من الحسن والجمال . وتبدي من الغنج والدلال ما يحرك النفوس الشاعرة كنفس أبي العيناء فلا يستجيب لطلبها . ولا يلبي رغبتها الا بالصد والرد ، وهي لم تطلب جللاً وانما طلبت خاتماً للذكرى ، ان ذلك الرجل لا يكون إلا أحد اثنين رجل مُتَدَيِّن يخاف الله ولا يرغب في التقرب إلى القيان . أو رجل بخيل بالغ النهاية في البخل مع كثافة طبعه . وتبلد مشاعره ، ولم يكن أبو العيناء كذلك .

لذلك نكاد نزعم أن أبا العيناء جاء بجواب تلك القينة على سؤالها الخاتم من باب التنادر وابتغاء الجواب المسكت الطريف .

وذكر الصفدي أن أبا العيناء قال يوماً لجارية مُغَنِّيَةٍ : أنا أشتهي [2] ...

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٣ ونكت الهميان ص ٢٦٧ .

(٢) لفظة فاحشة تعني البضاع تركنا ذكرها .

فقالت له : ذلك يوم عماك [1] . فقال أبو العيناء : يا ستّي [2] فالساعة بالنقد ؛ فقد سبق الشرط [3] .

ولعله يمكن معرفة رأي أبي العيناء في المرأة من هذه التعزية المستوحاة من الرأي السائد لدى كثير من الناس في النساء .

عزى أبو العيناء رجلاً بامرأته فقال : تقديم الحرمة [4] من جزيل النعمة ، وأنت إلى التهنئة بالنعمة في هذه المصيبة أولى منك بالتعزية ، فالحمد لله الذي جعل لك أجرها ، ولم يجعلك لها ثوابا ، فإنْ عَظُمَ الفقد لطول الإنس والصحبة ، فثواب الله أعظم وأجل [5] .

* * *

---

(١) هذا مثال يقال في الإياس من الشيء .
(٢) ستّي : يعني : سيدتي وهي كلمة عامية كانت مستعملة في بغداد ولا تزال منذ القرن الثاني الهجري .
(٣) نكت الهميان ص ٢٦٩ .
(٤) الحرمة ، هنا : الزوجة .
(٥) البصائر والذخائر ج ٣ ص ١٥ .

أبو العَيناء الأخباريّ

كثير ممن ترجموا أبا العيناء نعتوه بأنه كان إخبارياً . بل قال بعضهم إنه إخباري شهير [1] ووصفه بعضهم بأنه ذو رواية واسعة [2] . ولعل تلك الصفة من أبرز صفاته . والشاهد لصحة ذلك موجود في أمهات كتب الأدب والأخبار التي يرد فيها ذكر أبي العيناء في اسناد الأخبار بكثرة ملفتة للنظر ، ولو ذهبنا نحاول إيراد ما رواه أبو العيناء بل إيراد طائفة منه لاقتضى ذلك منا كتابة مجلدات .

وأريد بذلك ما رواه عن غيره من أقوال سواه أي : ما كان أبو العيناء أحد الرواة في سنده .

ولكن لا بد من ايراد ما رواه أبو العيناء نفسه ، أي : ما كانت روايته فيه هي التي ينتهي إليها السند .

وحتى هذه الأخبار كثيرة إلى درجة تحتّم الانتقاء منها انتقاء .

وهكذا كان .

فسوف أورد هنا بعض مروياته مما يتسم بالطرافة أو تغلب عليه الأهمية السياسية ، أو يكون بمثابة فقر تستحق أن تدون لبلاغتها أو لعمق معانيها .

والأخبار التي رواها أبو العيناء ، هي في نواحٍ متفرقة من فنون القول ، ومناحي الحياة ، فمنها الأخبار الطريفة أو لنقل انها الأخبار المرقصة ، ومنها ما يلي :

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٤ .
(٢) معجم الشعراء ص ٤٤٨ .

حدَّث أبو العيناء قال : كان لي صديق ، فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت مَنْ صديقُهُ ؟ فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه بالعناية .

قال أبو العيناء : فصِرْتُ إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبد الله ؟ فقلت : مُسَلِّماً وقاضياً للحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي هي كذا وكذا ، فقال الجاحظ : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، وتعرف أخبارنا ، إذا كان في غد وجَّهْتُ إليك بهذا الكتاب ، فلما كان من الغد وجّه اليَّ بالكتاب . فقلت لابني : وَجِّهْ بهذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته ، فقال لي : ان أبا عثمان بعيد الغَوْر . فينبغي أن نفضّه وننظر ما فيه ، ففعل ، فإذا فيه : كتابي إليك مع مَنْ لا أعرفُه ، فقد كلمني فيه مَنْ لا أوْجِبُ حقه ، فان قَضَيْتَ حاجته لم أحمدك ، وان رَدَدْتَه لم أذْمُمْكَ !

قال أبو العيناء : فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ مِنْ فَوْري ، فقال : يا أبا عبد الله قد علمتُ أنك أنكرتَ ما في الكتاب ؟

فقلت : أوليس موضع نكرة ؟ فقال : لا . هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به !

فقلت : لا اله إلا الله ، ما رأيت أحداً أعلم بطبعك . ولا ا جُبِلْتَ عليه من هذا الرجل علمت أنه لما قرأ الكتاب قال : عشرة آلاف في عشرة آلاف وأم مَنْ يسأله حاجة [1] فقلت : يا هذا تشتمُ صديقنا ، فقال : هذه علامتي فيمن أشْكُرُهُ ! [2] .

---

(١) كناية عن الإفحاش في السب والقذف .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٦ ونهاية الأرب ج ٤ ص ٧١ . وجمع الجواهر ص ٢٠٤ وأمالي المرتضى ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

وجرت له مع الجاحظ واقعة أخرى رواها غيره وأوردها الخطيب البغدادي وهي تدل على اطراح الكلفة بين الأديبين الظريفين الكبيرين ، وهي في أن تدخل في باب فصاحة أبي العيناء أليق من أن تذكر في هذا الباب ، لولا علاقتها بالجاحـــظ .

روى الخطيب أن أبا عثمان الجاحظ كان يتقلد في خلافة ابراهيم بن العباس على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء ، فلما أراد أن يخرج من عنده تقدم إلى مَنْ يحجبه أن لا يدعه يخرج ولا يدعه يرجع اليه ان أراد الرجوع . فخرج أبو العيناء يريد الانصراف ، فَمُنِـــع من الخروج ومن الرجوع إلى الجاحظ ، فنادى أبو العيناء بأعلى صوته : يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك [1] .

وهذه الطرفة أيضاً وهي أنه اجتمع الجاحظ وأبو العيناء عندَ الحسن بن وهب ، فقال له الجاحظ : علمت أن محمداً بن عبد الله أحسن من عمرو بن بحر [2] وان أبا عبد الله أحسن من أبي عثمان [3] . ولكن الجاحظ أحسن من أبي العيناء ، فقال أبو العيناء : هيهات ، جئت إلى ما يخفى من أمورنا ، ففضلتني عليك فيه ، والى ما يُعْرف ففضَّلت نفسك فيه . إنَّ أبا العيناء يدل على كنية ، والجاحظ يدل على عاهة ، والكنية وان سمجتْ أصلح من العاهـــة وان ملحتْ ! [4] .

ويروي أبو العيناء هذه الواقعة الطريفة التي حصلت عليه ، وظهر فيها رغم نباهته ، وسعة حيلته انه قد أوقع نفسه في مأزق لم يستطع التخلص منه إلا بعد

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٦ .
(٢) محمد بن عبد الله : اسم أبي العيناء وعمرو بن بحر : اسم الجاحظ .
(٣) أبو عبد الله : كنيته أبي العيناء . وأبو عثمان : كنيته الجاحظ . والأصل فيـــه تحريف صححناه .
(٤) الديارات ص ٥٦ .

أن لجأ للقاضي أو لنقل كبير القضاة في ذلك الوقت ، وهو المقرب من الخليفة القاضي أحمد بن أبي دؤاد فقد حدث الأخفش قال : سمعت أبا العيناء يقول : كنت في أيام الواثق مقيماً بالبصرة ، فكنت يوماً في الوراقين بها ، إذْ رأيت منادياً مقفلاً في يده مصحف مُخْلَقُ الأداة [1] فقلت له : نادِ عليه بالبراءة مما فيه [2] – وأنا أعني به أداته – فأقبل المنادي ينادي بذلك ، فاجتمع أهل السوق والمارّة على المنادي وقالوا : يا عدوّ الله ، تنادي على المصحف بالبراءة مما فيه ؟ قال : وأوقعوا به فقال لهم : ذلك الرجل القاعد أمرني بذلك قال : فتركوا المنادي ، وأقبلوا إليّ ، وتجمّعوا عليّ ، ورفعوني إلى الوالي ، وعملوا عليّ محضراً ، وكتب في أمري إلى السلطان . فأمر بحملي : فحُمِلْتُ مُسْتَوْثَقاً منّي ، قال : واتّصل خبري بأبي عبد الله بن أبي دؤاد ، فتكفّل بأمري ، والفحص عما قُرِفْتُ به . وأخذني اليه . ففكّ وثاقي . قال :

وتجمعت العامة . وبالغوا في التشنيع عليّ . ومتابعة رفع القصص [3] في أمري . فقلت لابن أبي دؤاد : قد كثر تجمّع هؤلاء الهمج عليّ وهم كثير . فقال : (كَمْ مِنْ فئة قليلة غَلَبَتْ فئةً كثيرةً بإذن الله) فقلت : قد بالغوا في التشنيع عليّ ، فقال : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) . قلت : فإني على غاية الخوف من كيدهم . ولن يخرج أمري عن يدك . فقال : (لا تحزن إنّ اللهَ مَعَنا) فقلت : القاضي أعزّه الله كما قال الصَّمُوت الكِلابِيّ :

لله دَرُّكَ – أيُّ جُنّةِ خائفٍ ومتاع دنيا أنت للحَدَثانِ
مُتَخَمِّطاً يَطأ الرِّجالَ بنعله وطء الفنيق دوارج القِرْدانِ [4]

---

(١) أداة المصحف هنا غلافه أو ما يظهر مما يكون ملفوفاً به .
(٢) البراءة مما فيه أصلها تقال في السلعة حيث ينادى عليها البائع بأنه بريء مما فيها أي مما يظهر فيها من العيوب بعد بيعها ، ولا يقول ذلك في القرآن الا زنديق .
(٣) القصص ، الرقاع التي يرفعها الناس إلى الوالي ونحوه .
(٤) المتخمط : الرجل الغلاب الذي لا يطاق . والفنيق : الفحل الكريم :ودوارج القردان ما درج منها مفردها قراد وهو حشرة معروفة . والجنة بالضم السترة .

وَيُكِبُّهُمْ حتى كأنَّ رُؤوسَهُمْ مأمومة تَنْحَطُّ لِلْغربان [1]
وَيُفَرِّجُ البابَ الشديد رتاجُهُ حتى يصير كأنه بابان [2] .

قال : يا غلام ، الدَّواة والقرطاس ، اكتبْ هذه الأبيات عن أبي عبد الله، قال : فكتبتْ له ولم يزل يتلطّفُ في أمري حتى خلّصني [3] .

هذا ما رواه أبو العيناء عما حدث له في هذه القصة . والذي يظهر لي أنه أراد أن يولع بذلك الرجل المغفل ، ويجعل الناس يسخرون منه فانقلبت الحيلة عليه . وحاق به المكر السّيِّءُ الذي لا يحيق إلا بأهله حتى خلصه القاضي بن أبي دؤاد .

وروى الصُّولي عن أبي العيناء . قال :

كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها ، أني مررتُ بسوق النّخّاسين يوماً فرأيت غلاماً ينادى عليه — وقد بلغ ثلاثين ديناراً — وهو يساوي ثلثمائة دينار فاشتريته وكنت أبني داراً ، فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصناع فجاءني بعد أيام يسيرة فقال : قد نفدت النفقة . فقلت : هاتِ حسابك . فرفع حساباً بعشرة دنانير . قلت : فأين الباقي ؟ قال : اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته ، قلتُ : ومَنْ أمرك ؟ قال يا مولاي لا تعجلْ . فانَّ أهلَ المروءاتِ والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالدَّيْنِ على مواليهم ، فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم أعلم ! قال : وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوجها سِرّاً من ابنة عمي ، فقلتُ له يوماً : أفيك خير ؟ قال : إي لعمري . فأطلعته على الخبر . فقال : أنا نعم العون لك . فتزوجت المرأة ودفعت اليه ديناراً فقلت له : إشْتَرِ لنا كذا وكذا ويكون

---

(١) يكبهم : يجعلهم ينكبون على وجوههم ، ومأمومة : جريحة .
(٢) رتاجه : غلقه من اقفال أو نحوه .
(٣) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٣ ١٧٤ . وهي بلفظ آخر في أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٢ . والظراف والمتماجنين ص ٦٩ .

فيما تشتريه سَمَكٌ هازبي [1] . فمضى ورجع وقد اشترى ما أردت ، إلا أنه اشترى سمكاً مارماهي ، فغاظني فقلتُ له : أليس أمرتك أن تَشْتَري هازبي . قال : بلى ولكني رأيتُ بقْراط يقول : إن الهازبي يُولِّدُ السَّوْدَاءَ ، ويَصِفُ المارماهي ويقول : إنه أقلُّ غائلةً . فقلت له : يا ابن الفاعلة أنا لم أعلم أني اشتريت جالينوس . وقمت اليه فضربته عَشْرَ مَقَارِعَ . فلما فرغتُ من ضربه أخذني وأخذ المقرعة فضربني سبع مقارع . وقال : يا مولاي الأدب ثلاثٌ ، والسَّبْعُ فَضْلٌ وذلك القصاص . فضربتك هذه السبعَ المقارع خوفاً عليك من القِصاص يوم القيامة . قال فغاظني جداً فرميتُهُ فَشَجَجْتُهُ ، فمضى من وقته إلى ابْنَةِ عمي فقال لها : يا مولاتي إنَّ الدِّين النصيحةُ . وقد قال النبي ﷺ : « مَنْ غَشَّنَا فليس منا » وأنا أُعْلِمُكِ يا مَوْلاتي أن مولاي قد تَزَوَّج واستكتمني ، فلما قُلْتُ له لا بُدَّ من تعريف مولاتي الخَبَرَ ضربني بالمقارع وشَجَّني . فَمَنَعَتْني بنتُ عمي من دخول الدار . وحالَتْ بيني وبين ما فيها ووقعنا في تخليط ، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طَلَّقْتُ المرأة التي تزوجتها ، وصَلَح أمري على ابنة عمي ، وسمته بنت عمي الغلام الناصح ، فلم يكن يتهيأ لي أن أكلِّمه . فقلتُ : أُعْتِقُهُ وأستريح فلعله يمضي عني إلى النار ، فلما أعتقته لَزِمَني وقال : الآن وجب حَقُّكَ علي ، ثم انه أراد الحج فجهزته وزَوَّدْتُهُ وخرج ، فغاب عني عشرين يوماً ورجع . فقلت له : لِمَ رَجعْتَ ؟ قال : قُطِعَ الطريقُ وفَكَّرْتُ فاذا اللهُ تعالى يقول (وَلِلَّهِ على النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) . فكنتُ غيرَ مُسْتَطيع ، وفَكَّرْتُ فاذا حَقُّكَ أَوْجَبَ فرجعت ، ثم أراد الغزو فَجَهَّزْتُه أيضاً لذلك . وشخص ، فلما غاب عني بعتُ كل ما أملكه بالبصرة من عقار وغيره ، وخرجت عنها خوفاً أن يرجع [2] .

---

(١) الهازبي : جنس من السمك . كذا في القاموس .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٧ وأخبار الظراف المتماجنين ص ٧٥ ــ ٧٢ . ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٠ ٢٥٣٢ ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ .

وقال أبو العيناء : أحضِرَ لاسحاق بن ابراهيم [٢] جارية سكرانة أُخذَتْ في العسس ، فقال لها رجل : ما خَطْبُكِ يا جارية ، فقالت على البديهة :

جـــارية باكَرَتِ المُرَوَّقـا تشرب صِرفا وتُرِدُّ رَنَقَا [١]
حتى اذا مَرَّتْ تمشي العَنَقَا عَلِقها الشُرطيُّ فيمن عَلِقا [٢]

وقال أبو العيناء : قال لي أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد : دخلتُ على الواثق فقال لي : ما زال قوم في ثَلْبك وبُغْضك ، فقلت : يا أمير المؤمنين . (لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم له عذاب عظيم) والله وليُّ جزائه . وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذَلَّ مَنْ كُنْتَ ناصره . ولا ضاع من كنتَ حافظهُ ؛ فماذا قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت أبا عبد الله :

وَسَعَى إليّ بعيب عَزَّةَ مَعْشَرٌ جعل الإلهُ خُدودَهُنَّ نِعالَها [٣]

وروى ابن قتيبة عن أبي العيناء أنه قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي ، وكان ذا مال وقد تأدَّب ، وقال الشِّعْر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له وَلَد [٤] ذُكور ، فلما حضرتهُ الوفاة ، جمع ماله ، وفَرَّقَهُ على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثاً ، فعوتب في ذلك فقال :

رأيتُ مالي أبَرَّ مِنْ وَلَـــدي فاليوم لا نِحْلَةٌ ولا صَدَقَهْ
مَنْ منهم لها فأبعده اللهُ ومَنْ كـــان صالحاً رَزَقَهْ [٥] .

---

(١) من روق الشراب ، اذا صفاه ، والرنق الكدر ، يقال : رنق الماء إذا كدره .
(٢) البصائر والذخائر ج ١ ص ٥٠٣ .
(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ١٧ .
(٤) أي : جماعة من الأولاد الذكور .
(٥) عيون الأخبار ج ١ ص ٣٤٤ .

وحكى أبو حيان قال :

قال أبو العيناء : اشْتُرِيَ للخليفة الواثق عَبْدٌ فصيح من البادية ، فأتينا وجعلنا نكتب عنه كل ما يقول ، فلما رأى ذلك منا قَلّب طرفه وقال : انَّ تراب قعرها لَمُنْتَهبٌ ، قال أبو حيان : يقال ذلك للرجل تَسُرُّ الناس رؤيتُه لانتفاعهم به ، والأصل فيه أن الحافر يحفر فان خرج التراب مُرّاً علم أنه مالح فلم يحفر ، وإن كان طيّباً علم أنَّ الماء عذب فأنبط ، فإذا خرج طيّباً انتهبه الصبيانُ سروراً به ، ومضوا إلى الحيِّ يخبرونهم [1]

وقال أبو العيناء : قال لي عيسى بن زيد المراكبي ، وكان من أملح الناس : كان لي غلام من أكْسَلِ خلق الله ، فوجّهته يوماً ليشتري عنباً رازقياً وتيناً . فزاد وأبطأ على العادة ، ثم جاء بعد مدة بعنب وحده ، فقلت له : أبطأت حتى نَوَّطْت الروح [2] ثم جئت بإحدى الحاجتين ، فأوجعتُه ضرباً ، وقلت : إنه ينبغي لك إذا استَقْضيتُكَ حاجةً أن تقضي حاجتين لا إذا أمرتُكَ بحاجتين أن تجيء بواحدة .

ثم لم ألبث بعدها أن وجدت علّةً فقلت له : امض فجئني بطبيب وعَجِّلْ . فمضى وجاء بطبيب ومعه رجل آخر ، فقلت له : هذا الطبيب أعرفه ، فَمَنْ هـــذا ؟

قال : أعوذ بالله منك ، ألم تضربني بالأمس على مثل هذا ؟ قد قضيتُ لك حاجتين ، وأنت استخدمتني في حاجة ، جئتك بطبيب ينظر إليك ، فان رَجَاكَ والاَّ حفر هذا قبرك فهذا طبيب ، وهذا حَفّار ، إيش انكرت ؟ قلت : لا شيء يا ابن [3] ...

---

(١) البصائر والذخائر ج ١ ص ٨٤ (طبع دمشق) .

(٢) من قولهم : أبطأ حتى نوط الروح أي حتى أسأم وأضجر .

(٣) البصائر والذخائر ج ١ ص ٨٧ – ٨٨ .

وقال أبو العيناء : وقف عليّ غلام يسألني ما أحْسبُهُ بلغ الحُلُمَ ولا قاربه ، وخرج غلام لي أسود قد اغتسل ، وهو يرعد وكان خبيثاً ، فأومأت إلى الأسود ، فقلت :

كأنّه ذِئبٌ غضاً أزَلُّ

فقال الغلام :

باتَ النّدَى يضربه والطّل

فوصلته بدراهم ، وانصرف [1] .

وقال أبو العيناء : قال لي أبو الهذيل : ما معنى الخسف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض أعلاها أسفلها . فقال : إلاّ يكن هـذا اليوم بالأرض فإنه لَبالناس [2] .

وهذه بعض الأخبار ذات الصبغة السياسية :

حدث أبو العيناء عن سبب ولاية عبد الله بن عبد الله الطاهري خراسان بعد أبيه فقال : كنا عند أحمد بن أبي دؤاد ـ القاضي ـ فجاء الخبر أن الكتب وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر ، وان الواثق يُعَزِّي عنه . وانه قد ولّى مكانه خراسان اسحاق بن ابراهيم ، وكان عدواً لابن أبي دؤاد لانخراطه في سلك ابن الزّيّات ، فلبس ثيابه ومضى ، وقال : لا تبرحوا حتى أعود اليكم .

فلبث قليلاً ثم عاد الينا فحدثنا أنه دخل على ـ الخليفة ـ الواثق فعزّاه عن عبد الله وجلس .

قال : فقال لي الواثق : قد ولّينْا اسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت :

---

(١) شرح المقامات للشريشي ج ٢ ص ٢١٩ .
(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ١٧٩ .

وفّق الله أميرَ المؤمنين ولا ندمُه ، قال الواثق : قُلْ ما عندك في هذا ، قلت : أمر قد أُمْضِيَ فما عسيتُ أن أقول فيه ؟ قال : لتفعلَنَّ .

فقلتُ : يا أمير المؤمنين : خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه . وكل مَنْ بها صنائعهم ، وقد خلّفَ عبدُ الله عشرة بنين أكثرهم رجال . وجميع جيش خراسان لهم عبيد أوموالي أو صنائع ، وسيقولون أما كان فينا مصطنع ؟ وكان يجب أن يُجَرِّبنا أميرُ المؤمنين ، فان وفينا بما كان يفي به أبونا وجدّنا ، والا استبدل منا بعد عذر فينا . ويقدم خراسانَ اسحاقُ وهو رجل غريب ، فينافسه هؤلاء ، ويتعصب أهلها لهم ، فينتقض ما أبرم . ويفسد ما أصلح .

قال الواثق : صدقت يا أبا عبد الله . والرأي ما قلتَ ، اكتبوا بعهد طاهر ابن عبد الله على خراسان ، فكتبت كُتُبَ طاهر ، وحرقت كتب اسحاق .

وخرجت الزنج تطير بها [1] ثم لقيني اسحاق داخلاً . فقلت : يا أبا الحسن ، لا عَدِمْتَ عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان بكلمة ! [2] .

وقال أبو العيناء : كان أحمد بن يوسف الكاتب ، قد تولّى صدقات البصرة ، فجار فيها وظلم ، فكثر الشاكي له ، والداعي عليه ، ووافى بابَ أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلاً من جلّة البصريين ، فعزله المأمون ، وجلس لهم مجلساً خاصاً ، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم ، فكان مما حفظ من كلامه أن قال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن أحداً ممّنْ وَلِيَ الصَّدَقات سلم من الناس لسلم رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل : (ومنهم من يَلْمزُك في الصدقات ،

---

(١) لعل صحة العبارة : فخرجت والريح تطير بها ، أي : ببقاياها ورمادها .
(٢) زهر الآداب ج ٢ ص ٩٢ – ٩٣ .

فإن أُعْطُوا منها رضُوا وإن لم يُعْطَوا منها اذا هم يَسْخَطُون) فأعجب المأمونَ جوابُهُ ، واستجزل مقاله ، وخلّى سبيله [1] .

وروى الجهشياري أن أبا العيناء حدث فقال :

جاء رجل من الأهواز إلى أبي أيوب — المورياني — وزير المنصور — وهو وزير ، فقال له : ان ضيعتي بالأهواز قد حمل عليَّ فيها العمال [2] فان رأى الوزير أن يعيرني اسمه اجعله عليها ، وأحمل اليه في كل سنة مائة ألف درهم ؟ فقال : قد وهبتُ لك اسمي ، فافعل ما بدا لك . وخرج للعمل .

وحال الحول فأحضر الرجل المال ، ودخل على أبي أيوب وهو لا يعرفه فجلس إلى أنْ خفَّ الناس ، ثم دنا منه وقصَّ عليه قصته ، وأعلمه أنه قد انتفع باسمه وانه قد حمل المال ، فأمر بإحضاره فأدخِلَ ، ووُضِعَ بين يديه ، ونهض الرجل شاكراً داعياً .

واندفع أبو أيوب يبكي ، فقال له أهله ومَنْ حضر معه ؛ ما رأينا موضع سرور وفرح عُقِّبَ ببكاء وحزن غير هذا ! فقال لهم : ويحكم : إنَّ شيئاً بلغ هذا من اقباله كيف يكون إدباره ؟ [3] قال : فما بَعُدَ بين الوقت وبين نكبته [4] .

قال أبو العيناء : كان الحسن بن عبد الله بن الحسن العنبري قاضياً عندنا في الفتنة ، وكان عابساً صامتاً ، فتقدَّمتْ إليه جارية لبعض أهل البصرة تخاصمه في الميراث ، وكانَتْ حسنةُ الوجه ، فتبسّم اليها وكلّمها فقال في ذلك عبد الصمد :

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٧ .

(٢) أي : أن أعمال السلطان وهم ولاته قد أكثروا على ذلك الرجل من المطالبة بالضرائب والأموال الأخرى فاذا جعلها باسم الوزير كفوا عنه .

(٣) أي : ان الدنيا مقبلة عليه بحيث ان مجرد حمل اسمه يفعل ذلك الفعل ويخشى من نقيض ذلك . هو ما حصل بالفعل بعد وقت قصير كما ذكر .

(٤) الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٨٣ .

ولما سَرَتْ عنها القناع مُتَيَّمٌ
يُرَوِّح منها العنبري مُتَيَّما
رأى ابن عبيد الله وهو مُحَكَّمٌ
عليها ، لها طَرْفاً عليه مُحَكَّما
وكان قديماً عابِسَ الوجه كالحاً
فلما رأى منها السُّفُورَ تبسّما
فإنْ تُصْبِ قلبَ العَنْبَرِي ، فقَبْلَه
صبّا باليتامى قَلْبُ يحيى بن أكثما [1]

وذكر الراغب الأصبهاني أن أبا العيناء قال : أتي بابن أبي خالد الذي كان بالسند بين يدي المتوكل فقال : والله لأضربنّه بالسياط . ووالله لا يشفع فيه أحد الا ضربت ظهره وبطنه . وكان ابن أبي دؤاد حاضراً فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً ثم قال : يا أمير المؤمنين . في هذا أدبٌ وان تجاوزت فسَرَفٌ . فقال له : أما سمعت يميني ؟ فقال : بلى . ولكن ما كان أمير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله . قال : « من حلف على شيء فرأى خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وكفارة أمير المؤمنين مع العفو أقرب إلى الله ، وأفضل . فعفا عنه . وكفّرَ عن يمينه [2] .

وقال أبو العيناء : سمعت علي بن صالح صاحب المُصَلّى يقول : دخل شريك القاضي على المهدي فأراد أن يعجزه [3] فقال : يا غلام ، أعطني عُوداً [4] ، قال : فجاء بالعُودِ الذي يغنى به . فلما رآه المهدي استحيى من شريك . ثم قال : هذا أخذه صاحب العسس [5] البارحة فأحببت أن يكون

---

(١) أخبار القضاة ج ٢ ص ١٧٣ .
(٢) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٣٢ .
(٣) كذا في الأصل وهو تحريف صوابه : يبخره .
(٤) يريد به العودَ المندي أي الذي يتبخر به .
(٥) العسس رجال الشرطة الذين يجولون في الليل .

كسره بحضرتك . ثم قال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن أُمِر بأمْرٍ فخالف إلى غيره فتلفَ الشيء ؟ قال : يضمن . قال : فقال : يا غلام اضمنْ ثمنَ العُود [1] .

وروى الأنباري عن أبي العيناء قال : كنت عند ابن أبي دؤاد بعد أن قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ وكان في أسبابه وناحيته [2] فقال ابن أبي دؤاد ما تأويل هذه الآية : (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة انّ أخذه أليم شديد) فقال الجاحظ : تأويلُها تلاوتُها . فقال : جيئوا بالحداد — فقال الجاحظ : ليفكّوا عني أو لتزيدوني ؟ فقيل : بل ليفكّ عنك ، فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ ، ويطيل أمره قليلاً ، ففعل . فلطمه الجاحظ وقال له : اعملْ عَمَلَ سنة في يوم ، وعَمَلَ يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فان الضَّرَرَ على ساقي وليس بجذع ولا ساجة [3] فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دؤاد : أنا أثق بظرفه . ولا أثق بدينه [4] .

وقال أبو العيناء : سمعت ابراهيم بن المهدي يقول : وذكر عفو المأمون عنه . فقال : والله ما عفا عني تقرباً إلى الله ، ولا صلة للرحم ، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن تكسد بقتلي . قال : فذكرت هذا الحديث لأبي يعقوب سليمان بن جعفر فقال : ما أكفره . أمّا المأمون فقد — والله — فاز بحفظها كَفَر مَنْ كَفَر وشكر مَنْ شكر [5] .

---

(١) أخبار القضاة ج ٣ ص ١٦٨ .

(٢) أي كان من المقربين الى ابن الزيات عدو ابن أبي دؤاد .

(٣) الجذع : جذع الشجرة والساجة واحدة خشب الساج .

(٤) نزهة الألباء ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(٥) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٦٢ .

وقال أبو العيناء : غنّانا علّويه في منزل اسحاق ، وكان اليزيدي معنا ، فقال له اليزيدي – وكان علويه يضرب باليسار [1] : اسأل الله الذي جعل سرورنا بيسارك ، أن يعطيك كتابك بيمينك [2] .

وقال أبو العيناء : تقدم الأصمعي إلى جارية له بعد ما كبر فانقطع [3] فقال : سبحان من خلق خلقاً فأماته في حياته [4] .

وقال أبو العيناء : كان القاضي اسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة يُسَمّي الأمَنَاء : الكُمَنَاء [5] . ويريد بالأمناء : من يأتمنهم القاضي أو الوالي على أموال الأيتام والغائبين والأوقاف ونحو ذلك فكأنه يقول : انهم كمن يكمنون حتّى يفاجئوا المسؤول عن ذلك المال بالاختلاس منه .

قال أبو العيناء : سمعت الحسن بن سهل يقول : كان لأنو شروان [6] أربع خواتيم ، فخاتم للخراج [7] نقشه : العدل ، وخاتم للضّياع [8] نقشه : العمارة ، وخاتم للمعونة نقشه : الأناة . وخاتم للبريد نقشه : الوحَى [9] وما نحن من هذا في شيء [10] .

وقال أبو العيناء : سمعت العباس بن الحسن العلوي يصف كلام رجل ،

---

(١) أي : يضرب على آلة الطرب بيده اليسرى .

(٢) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٦٨٥ وفي محاضرات الراغب (ج ٢ ص ١٣٠) ان القائل هو أبو العينـــاء .

(٣) انقطع : أي : لم يستطع الوصول إلى ما أراده منها .

(٤) البصائر والذخائر ص ٥٦ (الطبعة المصرية) .

(٥) أخبار القضاة ج ٢ ص ١٦٨ .

(٦) أحد الأكاسرة المشهورين من ملوك الفرس روي في الحديث : ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنو شروان .

(٧) أي : جباية المال من الأموال المقررة على الأراضي الزراعية ونحوها .

(٨) الضياع : جمع ضيعة : مما يعد لاستغلاله في الزراعة .

(٩) الوحى : يعني العجل .

(١٠) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٣٢٥ .

فقال : كلامه سَمْح سَهْل ، كأنَّ بينه وبين القلوب نسبٌ ، وبينه وبين الحياة سبب ، كأنما هو تحفة قادم ، ودواء مريض ، وواسطة قلادة [1] .

وقال أبو العيناء : سمعت الحسن بن سهل يقول : مَنْ أحب الازدياد من النعم فليشكر ، ومَنْ أحب المنزلة عند السلطان فليعظه ، ومَنْ أحبَّ بقاء عزّه فليتواضع ، ومن أحد السلامة فَلْيُدم الحذر [2] .

وقال أبو العيناء : جرى بين محمد بن الفضل ، وبين قوم من أهل الأهواز كلام ، فلما أصبح رجع عنه ، فقالوا له : ألم تَقُلْ أمْسِ كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأقوال ، اذا اختلفت الأحوال [3] .

وقال أبو العيناء : رأيت علي بن عبيدة يعاتب رجلاً ثم قال في كلامه : العجب أني أعاتبك وأنت من أهل القطيعة [4] .

وروى التوحيدي قال : قال أبو العيناء : قلت لأعرابي : كيف أنت ؟ قال : كما يسرك ان كنت صديقاً ، وكما يسؤوكَ إن كنت عدوّاً [5] .

ونقل المرزباني عن القراطيسي قال : أخبرنا أبو العيناء قال : كتب رجل إلى صديق له : أما بعد ، فإني ما اتّهمتُ حسنَ ظني بك حتى تَوجّهَ إخائي نحوك ، ولا تَجدّدَ أملي باعتمادي عليك ، ولا استدعتني رغبة فيك إلى مَنْ سؤاك ، ولا أراني اختياري غَيْرَك عوضاً منك [6] .

وروى المرزباني أن أبا العيناء قال : دَخلْنَا على العُتْبي نعوده وقد

---

(١) الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ١٤٤ .
(٢) لباب الآداب ص ٢٠ .
(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٤٤ .
(٤) رسالة الصداقة والصديق ص ١٨١ والظاهر أنه يريد بالقطيعة : الوضع بالمسمى بقطيعة الربيع في بغداد .
(٥) رسالة الصداقة والصديق ص ٣٧١ .
(٦) رسالة الصداقة والصديق ص ٣٥١ .

مَرِضَ ، فقال : ما أجزع من الموت كجزعي من أبي مسلم الحَلَقِ لأني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي بقوله :

يجوب صِيَابَ معاني الجوابِ بِحَذْفِ الصَّوَابِ لدى المُجْتَمِعِ [1]

وروى المرزباني أيضاً عن أحمد بن محمد المكي قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان زياد – يعني ابن أبي سفيان – يعطي الشعراء على قدر الشعر ، فأتاه يوماً أبو الأهتم فأنشده :

معاوية التقـــى السَّرِي أمـــير المؤمنينا [2]
أعطى ابن جعفر مـــالاً فقضى عنه الديونـــا

فأجزل له العطاء ، فقيل له : أتُعْطِي على مثل هذا الشعر ؟ قال : نعم ، نعم ، إنَّ الشعر كَذِبٌ وهَزْلٌ ، وأحَقُّه بالتفضيل أهزله [3] .

وقال أبو العيناء : قال رجل للقاضي اسماعيل بن حماد : قد ذهب نِصْفُكَ قال : لو ذَهَبَتْ مني شعرة لبقي مني ما يَقْضي عليك [4] .

قال أبو العيناء : سمعت رجلاً يقول لأبي زيد [5] أتَتَّهِمُنِي على دينِ الله ؟ قال : لا ، ولكني أتهمُكَ على لغة رسول الله ﷺ [6] .

قال أبو العيناء : قال أبو توبة القاص [7] : احمدوا ربّكم ، تشترون شاة سوداء . وتعلفونها حشيشاً أخضر ، وتحلبونها لبناً أبيض ، وتتبخرون في ثيابكم

---

(١) الموشح ص ٣٣٨ .
(٢) رغم رداءة معناه فانه غير مستقيم الوزن .
(٣) الموشح ص ٣٢٦ .
(٤) أخبار القضاة ج ٢ ص ١٦٨ .
(٥) هو أبو زيد الأنصاري اللغوي أحد شيوخ أبي العيناء .
(٦) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٣١٦ .
(٧) القاص : الذي يعظ الناس بذكر قصص الأولين هذا هو الأصل ثم نقل الى الذين يتكسبون بوعظ الناس .

فيعبق البخور [١] وتفسون في ثيابكم فلا يعبق [٢] .

وقال ابو العيناء : رأيت رجلاً وقد حمل كُرَةً بنصف درهم . فلما أراد الرجوع اكترى إلى ذلك الموضع حماراً بأربعة دوانيق [٣] .

قال ابو العيناء . كنتُ بحمص فمات لجار لي بنت ، فقيل له : كم كان عمرها ؟ قال : والله لا أدري ، ولكنها وُلدَتْ أيامَ البراغيث [٤] .

وقال أبو العيناء : قلت يوماً لحجاج بن هارون : قد قطعتني لغير ذنب . فقال : لا والله ما يمنعني من التواني عنك إلا الشغل ! [٥] .

قال ابو العيناء : سَبَّ ابراهيمُ بنُ رُسْتُمَ يوماً معاوية فقال له رجل : لِمَ لا تقولُ هذا بالكرخ [٦] . قال : ولِمَ لا تُصَلِّي على محمد صلى الله عليه وعلى آله بالقسطنطينية .

وقال ابو العيناء : لمّا عُزِلَ اسماعيل بن حمّاد بن ابي حنيفة شيّعُوه : فقالوا عَفَفْتَ عن اموالنا وعن دمائنا ، فقال : وعن ابنائكم ، يُعرض بذكر يحيى بن اكثم .

وقال ابو العيناء : كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً فنقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بِكُمِّهِ ، فتعجبت ، فقال : لا تَعْجَبْ : المال فرع ، والقلم اصل ، والأصل احوج إلى المراعاة من الفرع ، وبهذا

---

(١) عبق البخور : بقاء رائحته في الثوب .
(٢) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٨ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) البصائر والذخائر ص ٦٤٠ وأخبار الحمقى والمغفلين ص ١٦٩ .
(٥) الهفوات النادرة ص ٢٦٨ .
(٦) الكرخ محلة بالجانب الغربي من بغداد وكان الغالب على سكانها أهل السنة .

السواد جاءت هذه الثياب ثم أنشد أبياتاً ثلاثة في الخط (١) .

قال ابو العيناء : حدثني بعض أهل العلم . قال : مَرَّ الشَعْبِيُّ بإبلٍ قد اسرع فيها الجَرَبُ فقال : يا فِتيانُ ، الا ترون (٢) إبلكم هذه ؟ قالوا : ان لنا عجوزاً نتكلُ على دعائها . قال : أُحِبّ أن تضيفوا إلى دعائها شيئاً من القطران (٣) .

وروي عن ابي العيناء انه قال : كنت يوماً جالساً عند ابن الجهم إذْ أتاه رَجُل فقال له : وَعَدْتَني وعداً فان رأيتَ ان تُنْجِزَه . فقال : ما أذكر . فقال الرجل : إنْ لم تذكره فَلأَنَّ مَنْ تَعِدُهُ مثلي كثير . وأنا لا أنساه لانَّ مَنْ أسألُهُ مثلك قليلٌ ، فقال : احسَنْتَ لِلّه أبوكَ . فقضى حاجته (٤) .

وقال ابو العيناء : استودع رجلٌ عند إمام مَحَلّتِه قارورة زئبق ؟ فجحده إياها ، وقام يُصلّي بهم شهر رمضان وقرأ : (قَالوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ماذا تَفْقِدُون) وكررها فقال الرجل : قارورة زئبق ؟ (٥) .

قال ابو العيناء : قال مَلِكٌ من الأكاسرة لبنيه : صِفوا لي شهواتِكم من النساء ، فقال الأكبر : تعجبني القدود والخدود والنُهود . وقال الأوسط : تعجبني الأطراف والأعطاف والارداف . وقال الأصغر : تعجبني الثُغُور والنُحور والشُعُور (٦) .

---

(١) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٤٢٠ .
(٢) كذا الأصل وهو تحريف صوابه : (تداوون) .
(٣) أخبار القضاة ج ٢ ص ٤٢٤ .
(٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٩ . وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨١ .
(٥) جمع الجواهر ص ١٢٤ .
(٦) البصائر والذخائر ج ١ ص ٢٦ (طبع دمشق) .

وقال أبو العيناء : عرض رجل على الأصمعي ببغداد شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعي : فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكيني انه ليس لغريب قَدْرٌ ، لو كنتُ ببلدي بالبصرة ما جسر هذا الكشحان [١] ان يعرض عليّ هذا الشعر وأسْكُتُ عنه ! [٢] .

وروى ابو العيناء ، قال :

وُجِّه اسماعيل بن حمّاد القاضي حَكَماً على أبي الواسع المازني . فقال : يا أبا الواسع ، إتّسعَ الخرق على الراقع [٣] .

وقال أبو العيناء : كان (المدني) في الصف من وراء الامام ، فذكر الامام شيئاً [٤] فقَطع الصلاة . وقَدَّمَ المَدَنيَّ ليؤُمَّهُمْ ، فوقف طويلاً ، فلما أعيا الناسُ سَبَّحُوا له [٥] وهو لا يتحرك ، فَنَحّوْه وقدموا غيره ، فعاتبوه . فقال : ظننته يقول لي : احفظ مكاني حتى أجيء ! [٦] .

وقال ابو العيناء : قلت لمديني شكا إليّ سوء الحال : أبشر ، فان الله رزقك الاسلام والعافية . قال : أجل ، ولكن بينهما جُوع يقلقل الكبد [٧] .

وهذه طائفة من الرسائل التي رواها أبو العيناء عن أصحابها وهي في أن تدخل في فصل (ابو العيناء الساخر) أليق ان تكون في هذا الفصل لأن أسلوب أبي العيناء الساخر يتجلى من خلال سطورها لولا ان النصوص صريحة في أنه رواها رواية .

---

(١) هو الديوث .
(٢) الموشح ص ٣٣١ .
(٣) أخبار القضاة ج ٢ ص ١٦٨ .
(٤) أي : ذكر شيئاً مما ينقض الوضوء ، أي : علم أنه ليس على وضوء .
(٥) سبحوا له : قالوا : سبحان الله لينبهوه على سهوه وغلطه بعدم مضيه في الصلاة .
(٦) أخبار الحمقى والمغفلين ص ١١١ .
(٧) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٧١ - ٧٢ .

وعلى أية حال فإنه لا ينقص من الإمتاع بها كونها كذلك .

قال ابو العيناء : كتب زنباع الهاشمي وهو محمد بن احمد بن علي بن المهدي إلى طبيبه : وألاكَ الله يا يُوحَنّا ، وأتم نعمته عليك . قد شربت الدواء خمسين متعداً . والمغص والتقطع يقتل بطني . والراس . فلا تسل عنه مصدّعاً بعصباته منذ بعد أمس ، فلا تؤخر احتباسك عني . فسوف أعلم اني سأموت ، وتبقى انت بلا أنا . فعلتَ ، موفقاً ان شاء الله [1] .

إنّ هذه الرسالة الموغلة في بلاغة البلهاء والمغفلين لجديرة بأن تفسر لولا ان تفسيرها بتصحيحها قد يفسدها لأنه يخفف من إيغالها في العيّ . وطرافتها في ابقائها داخل إطارها المظلم إلا قوله (موفقاً إن شاء الله) فينبغي ان ينوّه على ان هـــذه كانت لازمة من لوازم الرسائل في ذلك الوقت شبيهة باللازمة التي كانت موجودة في هذا العصر ، واخذت تقل الآن حتى كادت تتقلص . وهي قولهم في آخر الخطاب : ودمتم .

وهذه مثلها :

قال ابو العيناء : كتب بعض الحمقى إلى صديق له :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأمتع بك ، حفظك الله ، وأبقى لك من النار سوء الحساب كتبت اليك والدجلة تطفح ، وسفن الموصل هيّا هيّا . والخبز رطلين ، فعليك بتقوى الله ، وإياك والموت فانه طعام سوء . وكتب لاحدى وعشرين بقيت من عاشوراء سنة « افتَصَدَ عجيف » مولى أمير المؤمنين [2] .

أرأيت ان تاريخ افتصاد عجيف مولى امير المؤمنين جدير بأن يعتبره أمثال ذلك المغفل الذي كتب الرسالة ، عندما كان الخبز رطلين . وكان الموت طعام سوء .

---

(١) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٧٠ .
(٢) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٢٨ .

ورسالة ثالثة :

قال ابو العيناء : كتب بعض الهاشميين إلى السندي بن شاهك [١] :

بسم الله . وأمتع بك : ان أخانا أحد خدمي أخذ رجلاً من الشرط بسبب كلب يقال له موسى . وموسى عندنا ليس بذاعر [٢] فان رأيت ان تأمر سبيل تخليته فعلتَ ان شاء الله [٣] .

وقال ابو العيناء : كتب رجل إلى صديق له : عافانا الله وإياكَ من الشّر كُلّه ، فقرأه الشوكله ثم كتب اليه : ما اعرف الشّوكله في العلل فعرفني [٤] .

ألست معي في انه ينبغي ان يقال لهذا البليد : ان الشوكلة قد تكون داء يصيب شاكلة الانسان اي : خاصرته وان تدعو عليه بأن يصاب بها اذا كنت لست من مجاني الدعوة .

اما الابن المغفل للخليفة فان تغفيله وبلاهته يكونان على قدر مقامه من الكبر .

قال ابو العيناء : كتب ابو حفص بن المتوكل إلى أبي احمد بن الموفق :

أطال الله بقاءك يا عمي ، وادام عزّك وابقاك ؛ أنا ، وحق النبي ﷺ [٥] أحبك أشد من المتوكل [٦] وأشد من والدي ، ولا احتشمك أيضاً ، قد جابوا

---

(١) السندي بن شاهك : أحد قواد العباسيين المشهورين : أصله من السند .
(٢) الذاعر : الخبيث والخائن .
(٣) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ٤٧٣ .
(٥) الحلف بحق النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز شرعاً ، ولكنه ليس بمستغرب من مثل هذا الغبي .
(٦) المتوكل هو والده فكيف يقول بعد ذلك : أشد من والدي ؟ ان ذلك لفرط غبائه .

لك مطبوخ [1] من عكبر [2] واحب ان تبعث إلي منه خمس دنان [3] وإلا ثلاث فما سيان ، ولا تردني فأحرد [4] بحياتي [5] .

ونَعْودُ مع ابن العيناء إلى زنباع :

قال ابو العيناء : كتب زنباع الهاشمي إلى علي بن عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم .

استوهب الله المكاره كلها فيك برحمته ، أحب يا سيدي ان تسقيني نبيذ زبيب وعسل ، فان عندي رجلاً يشرب المطبوخ ان شاء الله [6] .

قال ابو العيناء : وكتب ايضاً إلى صديق له :

فدتك نفسي . أنا وحدي ، والجواري عندي . وأنا واسحاق وابي العباس في البستان ، مُوفقاً ، ان شاء الله [7] .

قال ابو العيناء : وكتب أيضاً إلى صديق له يستعير دابة :

اذا أردت الركوب في حاجة ان شاء الله .

فكتب اليه الرجل : في حفظ الله [8] .

وقال ابو العيناء : شكى بعض جيران محمد بن عبيد الله المهدي بعض غِلمانه ، وسأله ان ينهاهم ، فكتب اليه محمد :

---

(١) المطبوخ هنا : يريد به الطبيخ وهو نوع من الشراب .
(٢) عكبرا : بلدة بالعراق .
(٣) دنان : جمع دن وهو وعاء الخمر والنبيذ .
(٤) أحرد : يعني أغضب واغتاظ .
(٥) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٩ .
(٦) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٤٣ .
(٧) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٤٣ .
(٨) المصدر نفسه .

قبل كل شيء فَصَبّحَكَ الله بالخير ، حين يشكو الغلمان لسبب الجيران هم مملوكين . وكم ثمن دارك ؟ لو كانت مثل قصر الخليفة حتى لم أكن امتنع عن هبتها لغلامك ، ولو خرجت عن بغداد ، اي والله ، لو كنت حارس الكلب اذا قمت عنها ، واعوذ بالله لو كلمتك عشر سنين ، فانظر الآن انت إليّ ، عليَّ المشي إلى بيت الله اعني الطلاق وثمانين حجة احرار لوجه الله ، وسلّتي حُبس في دواب الله فعلت ، ان شاء الله (١) .

لقد استن هذا المغفل سنة جديدة في افتتاح الرسائل بصبّحك الله بالخير . حتى ولو كانت قد وصلت إلى صاحبها ليلاً وقرأها مساءً .

قال ابو العيناء : كتب رجل إلى صديق له يسأله بخوراً :

شَمَمْتُ منك اليوم وحق الله ، أعزك الله رائحة طيبة ، وذلك وحياتك بإطّراح الحشمة موفقاً ان شاء الله (٢) .

قال ابو العيناء : كتب أحمقُ إلى ابيه من البصرة :

كتابي هذا ولم يحدث علينا بعدك إلاّ خير والحمد لله إلا ان حائطنا وقع فقتل أمي وأختي وجاريتنا . ونَجوْتُ أنا والسنّور والحمار ، فعلت ، ان شاء الله (٣) .

بئس العوض الباقي من الذاهب هذا الابن الاحمق الذي لا فرق بينه وبين الحمار والسنّور وان ابدى شيئاً من الحصافة في ايراد اللازمة المعروفة في الرسائل في ذلك الوقت ، وهي (فعلت . ان شاء الله) التي تقال في طلب الفعل . اذ ما هو الفعل الذي يطلبه من والده اذا علم ان زوجته وابنته وجاريته قد ماتوا ؟ !!!!

على اننا نعود في ختام إيراد هذه الرسائل الثقيلة الخفيفة إلى القول بأننا لا نبرىء قلم أبي العيناء من اختراعها واختراع بعضها وان كنا لا نجزم بذلك .

(١) المصدر نفسه .
(٢) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

أبو العيناء راوية الشعر الجيّد

حفظت لنا الكتب جملة من المقطوعات الشعرية التي رواها ابو العيناء لغيره من الشعراء ، ولكنها وصلت إلى الأدباء والرواة عن طريقه ، وهي تدل إلى جانب كون أبي العيناء راوية للشعر معروفاً بذلك على أنه ذوّاقة لما يرويه فهي مقطوعات جيدة السبك ، عميقة المعنى . وهذه نماذج منها .

قال أبو الطيب الوشاء : انشدني ابو العيناء قال انشدني الجاحظ :

اخوك الذي ان سرّك الأمر سَرَّهُ — وان غبتَ يوماً ظَلّ وهو حزين
يقرب من قرّبت من ذي مودة — ويقصي الذي اقصيتَه . وبين [1]

وهي أبيات جميلة المعنى . عذبة المبنى في باب الصداقة والصديق .

قال محمد بن يحيى الصُولي : حدثني ابو العيناء قال : ما رأيت قط أحسن شاهداً عنه حاجة من ابن عائشة ، قلت له يوماً : كان ابو عمرو المخزومي يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإنْ تنأْ عنا لا تَضِرْنا ، وإنْ تَعُدْ — نجدنا على العهد الذي كنتَ تعلم

وقال : والله لا أدري لِمَنْ هذا البيت ، فقلت [2] : إنّ ابنَ سلاّم روى عن يونس ان الفرزدق لما قال :

---

(١) الموشى ص ٣٧ .
(٢) القائل هو أبو العيناء .

تَصَرَّمَ مني وُدُّ بكر بن وائلٍ وما خِلْتُ دهري وُدَّهُمْ يتَصَرَّمُ
قَوَارصُ تأتيني فيحتقرونها وقد يملأُ القطرُ الاناءَ فيُفْعَمُ

وكان قد نزل فيهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه :

لقد بَوَّأتْكَ الدارَ بكرُ بنُ وائلٍ وَرَدَّتْكَ الأحشاءَ إذ أنتَ مُجْرِمِ
ليالِ تَمَنّى أنْ تكون حَمامةً بمكّةَ يَغْشاها السِّتارُ المُحَرَّمُ
فإنْ تنأ عنا لا تَضِرْنا ، وإنْ تَعُدْ تَجِدْنا على العهد الذي كنتَ تَعْلَمُ

فقال ابن عائشة : انت والله يا بنَيَّ ممّنْ سَتَصْدُقُ في العلم مَخَائلُه ، وتكثر عليه دلائله [1] .

وقال الراغب الاصبهاني : أنشد ابو العيناء :

اذا اعجبتك خصالُ امرىءٍ فكُنْهُ يَكُنْ منك ما يُعْجِبُكْ [2]

وقال ابو العيناء : خَطَبَ رجل دَنِيٌّ إلى شريفٍ قد مَسَّتْهُ حاجة فأنشأ يقول [3] :

قُلْ للذين سَعَوْا يبغون رَخْصَتَها ما أرْخَصَ الجوعُ عندي أمَّ كُلْثُوم
الجوع خير لها من بَعْلٍ مَنْقَصَةٍ ساقَتْ اباها إليه جُلّةٌ كُومُ [4]

وقال ابو العيناء : أنشدت للنّظّام :

---

(١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٢) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٤٢ وص ١٤٩ .
(٣) يريد : خير الذين أتوا اليه يريدون أن يتزوجوا ابنته (أم كلثوم) متهزين فرصة حاجته ان الجوع لم يرخصها لديه ولا غيره لأن بقاءها معه على جوعه خير من زوج ناقص حتى ولو كان يملك إبلا جليلة سمينة .
(٤) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٣١٧ وفيه إقواء الا اذا قرىء: جلة الكوم وهي جمع كوماء .

اذا هَمَّ النديم لــه بلحــظٍ تَمَشّتْ في مفاصله الكُلُومُ

فقال : ما ينبغي ان ينادم هذا الا أعمى [1] .

وقال ابو العيناء : انشدني الجاحظ نفسه في الخُضَاب :

زرتُ فتاة من بني هـــلال فاستعجلَـت إلـي بالسؤال
مالي أراك قـاني السِّبـال كأنما كَرَعْتَ في جِرْيَال [2]
مَا يَبْتَغِي مِثْلُكَ مِنْ أَمْثَالي تَنَحَّ قُدَّامي وَمَن حَيالي [3]

وقال ابو العيناء : أنشدني السندي [4] :

واني لأهوى ثم لا اتبعُ الهـوى واكرمُ خِلاّني وفيَّ صُــدُود
وفي النفس عن بعض التعرض غلظة
وفي العين عن بعض البكاء جمــود [5]

وقال ابو العيناء : كتب الحسين بن الضَحّاك – الخليع – إلى احمد بن يوسف الكاتب ليلة الميلاد يستهديه شمعاً :

سجاياك في طيب أعراقهـا تُباهي النجوم باشراقهـا
وليلة ميلاد عيسى المسيـح قد طَالَبَتْـني بميثاقهــا
فهذي قُدُوْرِي على نارهـا وفاكهـتي مـلء اطباقها

• • •

(١) الغيث المسجم ج ٢ ص ٤٤٤ .
(٢) الجريال : صفوة الخمر .
(٣) أمـالي المرتضى ج ١ ص ١٩٧ وقال المرتضى : « قوله ... كأنما كرعت في جريال .. مليح قوي ، ولا يشبه شعر الجاحظ لينه وضعف كلامه .
(٤) لعله ابراهيم بن السندي بن شاهك من يروي الجاحظ عنهم كثيراً وفي رسالة الصداقة والصديق (ص ٣٧١) السدري ، واعتقد أن ذلك من التحريف .
(٥) البصائر والذخائر ج ٣ ص ١٢٨ .

فَكُنْ مُهْدِياً لي فَدَتْكَ النفو ... سُ فجودُكَ يُمْسِكُ ارماقها
نظائر صُفْرٌ غَـدَتْ فِتْنَةً ... بِلُطْفِ أنامِلِ حُذّاقِهَـا
ومثل الافاعي اذا ألْهِبَـت ... ولِلرُّوم زُرْقَـة أحداقهـا
ولم أر مـن قبلهـا أنفُسـا ... تُذيب الجسوم بإحراقهـا
وإنْ مَرِضَتْ لم يكن بُرْؤُهـا ... بشيءٍ سوى ضَرْب أعْناقها[1]

واورد القالي عن ابي العيناء انه قال : انشدنا ابن ابي فنن في مجلس علي بن الجهم فكتبت لي وله :

ولما أتَتْ عيناي ان تكتما البُكـا ... وَانْ تحبسا سَحَّ الدموعِ السواكب
تثاءبت كي لا يُنْكِرَ الدمعَ مُنْكِرٌ ... ولكنْ قليلاً ما بقاءُ التثـاؤب
أعَرَّضْتُماني للهـوى وَغَمَتُّما ... عليَّ ؟ لبئس الصاحبانِ لصاحب[2]

وروى البيهقي ان أبا العيناء قال : ابن ابي طاهر أشعر الناس في بيتيه حيث يقول :

اذهبا بي إنْ لم يكن لكما عَقْرٌ إلى تُرْب قبـره فاعْقرانـي[3]
وانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دمي مِنْ نداه لو تعلمانِ[4]

وروى الصولي ؛ قال : حدثنا ابو العيناء قال : كان ابن ابي دؤاد يقول : لو أراد العباس بن الأحنف بقوله :

المرؤ قـد يـرزق أعـداؤه ... منه ، ويشقى بالصديق الصديق

إصلاحاً بين قبيلتين من العرب ، أو إقامة لخطبة ، او إرسالا لمثل او حكمة لكان أبلغ وأحسن[5] .

---

(١) التحف والهدايا ص ٩٦ – ٩٧ .
(٢) الأمالي ج ١ ص ٦٩ .
(٣) العقر : ما يعقر من الدواب على القبر .
(٤) المحاسن والمساوىء ص ٣٤٦ .
(٥) رسالة الصداقة والصديق ص ٢١٢ .

قال ابو الطيب الوشاء : انشدني ابو العيناء :

وما كيس في النـــاس يحمد رأيـــه — فيوجد إلا وهو في الحب احمـــق
وما من فتى مـــا ذاق بؤس معيشة — من الدهر ، الا ذاقها حين يعشق (١)

* * *

وبعد : فهذه أخبار ابي العيناء ، وهي ليست كل أخباره . وانما يمكن القول انها جُلُّها ، والجُلُّ يغني عن الكل في كثير من الأحيان .

والمرجو انك — أيها القارىء الكريم — وقد صحبتنا في رحلتنا مع أخبار ابي العيناء ان تكون قد صادفت فيها من الامتاع ما نشدتَه ومن المعرفة بتلك الشخصية اليمامية العراقية ما لم تندم معه من استرسالك في قراءتها فان كان الأمر كذلك ، فذلك ما أردناه من جمع هذه الأخبار ووضعها بين يديك . وان تكن الأخرى فأرجو صفحك وعفوك ، ولتكن الوسيلة إلى نيل ذلك ما قصدناه من التماس ما يمتعك ويسليك وانني قد اجتهدت ما وسعني الاجتهاد فليكن لي منك نصيبي من العذر على قدر ذلك .

* * *

وبالله التوفيق على كل حال ، ومنه نلتمس العفو عما سلف ، ونستمد العصمة عن الزلل فيما استؤنف ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) الموشى ص ١٠٥ .

الكتب التي رجعنا اليها

لم نثبت من الكتب الكثيرة التي رجعنا اليها إلا ما ورد له ذكر في هذا الكتاب او حواشيه .

١ ــ اخبار الحمقى والمغفلين للامام بن الجوزي . منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت .
٢ ــ اخبار الظراف والمتماجنين ، للامام ابن الجوزي ، مطبعة الغري الحديثة بالنجف عام ١٣٨٦ ــ ١٩٦٧ م .
٣ ــ اخبار القضاة لمحمد بن خلف المعروف بوكيع ، تعليق وتصحيح عبد العزيز مصطفى المراغي مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٦٦ هـ .
٤ ــ الأذكياء لابي الفرج بن الجوزي ، المطبعة العربية بالقاهرة دون تاريخ .
٥ ــ الاغاني ، لابي الفرج الاصفهاني ، مطبعة التقدم بمصر .
٦ ــ الامالي لابي علي القالي وذيله لابي عبيد البكري ، مطبعة السعادة عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .
٧ ــ أمالي المرتضى المسمى « غرر الفوائد ، ودرر القلائد » للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع دار احياء الكتب العربية عام ١٣٧٣ هـ .
٨ ــ الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ .

٩ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، للحافظ اسماعيل بن كثير .
١٠ ـ البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي ٤ مجلدات : تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني مطبعة الانشاء بدمشق عام ١٩٦٤ م وما بعدها .
١١ ـ تاريخ بغداد ، للحافظ الخطيب البغدادي . نشر القدسي . مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٤٩ ﻫ .
١٢ ـ التحف والهدايا . لابي بكر محمد وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان . طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٥٦ م .
١٣ ـ ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب لابي منصور الثعالبي . مطبعة الظاهر بالقاهرة عام ١٣٢٦ ﻫ .
١٤ ـ جمع الجواهر ، في الملح والنوادر . لابي اسحاق الحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٣٧٢ﻫ .
١٥ ـ الديارات . تأليف ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي ، عني بتحقيقه ونشره الدكتور كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥١ م.
١٦ ـ زهر الآداب ، وثمر الألباب ، لابي سحاق الحصري ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ، مطبعة حجازي .
١٧ ـ سمط اللالىء ، للاستاذ عبد العزيز الميمني على اللالى في شرح امالي القالي لابي عبيد البكري مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٥٤ ﻫ .
١٨ ـ شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، طبع القدسي بالقاهرة عام ١٣٥١ ﻫ .
١٩ ـ شرح مقامات الحريري لابي العباس الشريشي ، تصحيح محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٣٧٣ ﻫ.

٢٠ ــ صبح الأعشى ، في صناعة الإنشاء ، للقلقشندي ، طبع دار الكتب المصرية .
٢١ ــ الصداقة والصديق ، لابي حيان التوحيدي ، عني بتحقيقها الدكتور ابراهيم الكيلاني طبع دار الفكر بدمشق عام ١٩٦٤ م .
٢٢ ــ الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي عام ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م .
٢٣ ــ طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الأولى عـــام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م بالقاهرة .
٢٤ ــ طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، طبع دار المعارف بمصر .
٢٥ ــ العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٧٣ هـ .
٢٦ ــ عيون الأخبار ، لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٤٣ هـ .
٢٧ ــ غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة ، لابي اسحاق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي الكتبي المعروف بالوطواط ، المطبعة الادبية المصرية في القاهرة عام ١٣١٨ هـ .
٢٨ ــ الغيث السجم ، في شرح لامية العجم ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، طبع دار الكتب العلمية في بيروت عام ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
٢٩ ــ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد .
٣٠ ــ الفهرست . . . . لابن النديم ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٣١ ـ كنايات الأدباء ، وإشارات البلغاء لاحمد بن محمد الجرجاني ، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٦ هـ .
٣٢ ـ الكناية والتعريض ، للثعالبي ، مطبعة السعادة بمصر ، عام ١٣٢٦ . (مع كنايات الجرجاني) .
٣٣ ـ لباب الآداب ، تأليف الأمير أسامة بن منقذ ، بتحقيق أحمد محمد شاكر المطبعة الرحمانية بمصر عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م .
٣٤ ـ لسان الميزان ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، طبع حيدر اباد الدكن بالهند عام ١٣٣٠ هـ .
٣٥ ـ اللطائف والظرائف في الاضداد للثعالبي ، جمع بينه وبين كتابه الآخر ، « اليواقيت في بعض المواقيت » الامام احمد ابو نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي ، المطبعة العثمانية بالقاهرة عام ١٣٠٧ هـ .
٣٦ ـ لطائف المعارف لابي منصور الثعالبي ، تحقيق ابراهيم الابياري ، وحسن كامل الصيرفي طبع دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٧٩ هـ .
٣٧ ـ مثالب الوزيرين ، لابي حيان التوحيدي ، عني بتحقيقه الدكتور ابراهيم الكيلاني . نشر وتوزيع دار الفكر بدمشق عام ١٩٦١ م .
٣٨ ـ المحاسن والمساوىء تصنيف الشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي ، طبع دار صادر ودار بيروت ببيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .
٣٩ ـ محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء لابي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، المطبعة الشرقية عام ١٣٢٦ هـ .
٤٠ ـ مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لابي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، طبع حيدر أباد الدكن في الهند عام ١٣٣٧ هـ .
٤١ ـ مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، للامام المسعودي ، بتحقيق محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٧ هـ .

٤٢ ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي ، طبع دار المأمون بمصر ابتداء من عام ١٣٥٥ هـ .
٤٣ ــ معجم الشعراء لابي عبيد الله (محمد) بن عمران المرزباني ، طبع القدسي ، عام ١٣٥٤ هـ .
٤٤ ــ المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي بتحقيق وشرح احمد محمد شاكر طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٦١ هـ .
٤٥ ــ المغني في الضعفاء ، للامام الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي صححه وعلق عليه الدكتور نور الدين العتر ، طبع مطبعة البلاغة بحلب .
٤٦ ــ المنتخل لابي منصور الثعالبي ، نظر فيه وصحح روايته احمد ابو علي ، المطبعة التجارية بالاسكندرية عام ١٣١٩ هـ .
٤٧ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (خمسة أجزاء منه) للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ، طبع حيدر أباد الدكن بالهند عام ١٣٥٧ وما بعدها .
٤٨ ــ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني وقف على طبعه واستخراج فهارسه محب الدين الخطيب : الطبعة الثانية بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٥ .
٤٩ ــ الموَشَّى في الظرف والظرفاء : لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ــ طبع دار صادر وبيروت عام ١٣٨٥ .
٥٠ ــ نثر النظم وحل العقد لابي منصور الثعالبي ، طبع في مطبعة المعارف بدمشق عام ١٣٠٠ هـ .
٥١ ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الانباري ، قام بتحقيقه الدكتور ابراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٩ م .
٥٢ ــ نزهة الجليس ، ومنية الأديب الأنيس لعباس بن نور الدين المكي الموسوي ، منشورات المطبعة الحيدرية النجف عام ١٣٨٧ ــ ١٩٦٧ هـ .

٥٣ ـ نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي المحامي ، طبع بيروت عام ١٣٩١ ـ ١٩٧١ م .
٥٤ ـ نكت الهميان ، في نكت العميان ، لصلاح الدين الصفدي ، طبع في القاهرة ١٣٢٩ .
٥٥ ـ نور القبس ، المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء ، تأليف ابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، اختصار ابي المحاسن يوسف بن احمد بن محمود الحافظ اليغموري ، عني بتحقيقه رودلف زلهايم ، المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٦٤ م ١٣٨٤ هـ .
٥٦ ـ نهاية الأرب ، في فنون الأدب للنويري ، طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٤٢ هـ وما بعدها .
٥٧ ـ الوزراء والكتاب تصنيف ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ، الطبعة الأولى بمطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م .
٥٨ ـ وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، للقاضي ابن خلكان بتحقيق محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٦٧ هـ .
٥٩ ـ الهفوات النادرة لغرس النعمة ..... الصابيء ، تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، طبع دمشق عام ١٣٨٧ هـ .

فهرس الكتاب

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض - شارع عمر بن الخطاب
ص ب ٢٩٥٢ - ت ٤٧٥٤٦

تنبيه لابــد منه

نشرت مجلة العرب فصلا من هذا الكتاب قبل صدوره، وكتبت لذلك الفصل مقدمة. وقد بقيت تلك المقدمة في موضعها من ذلك الفصل ، خطأ عند الطبع (أول صفحة ٧٩) فاقتضى التنبيه .

مؤلف هـذا الكتاب

الاستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي ذو ثقافة واسعة ، متعدّدة الجوانب ، ففضلا عن الجانب الديني الأصيل فقد بَرّزَ في جوانب اخرى حتى أصبح من ادبــاء المملكة العربية البارزين ، ونـــال نوط التقدير (مدالية الاستحقاق) في الحفل الذي أقامته (جامعة الملك عبد العزيز) تكريما لكبار الأدباء السعوديين ، بقرار من معالي وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ بتاريخ ١٣٩٤/٣/٥هـ (تكريما لجهوده ولانتاجه الفكري) .

ومن آثــاره في هذا المجال :

١ ــ « الأمثال العامية في نجد » ــ صدر قسـم منه والأقسام الاخرى مُعَدّة للنشر ، وهو من أعمق الدراسات وأشملها في موضوعه .

٢ ــ « في افريقية الخضراء » ــ رحلة مطبوعة .

٣ ــ « بلاد القَصِيم » جزء من « المعجـم الجغرافي للبــلاد العربيــة السعودية » تمّ تأليفه وأصبــح جاهزا للطبــع .

٤ ــ « أبو العيناء » ــ هذا الكتاب .

٥ ــ « في بلاد الهند والسنــد » .

٦ ــ « حول العالم » ــ رحلات ومقالات .

٧ ــ « الثقلاء » .

وكلها معدة للطبع . وله أبحاث جغرافية عن مواضع تاريخية في بلاد القصيم نشرت في مجلة « العرب » التي حوت مجلداتها كثيرا منها .

والاستاذ العبودي يتمتع بحيوية فائقة وجد ونشاط في ميادين البحث والانتاج بحيث أعدّ مجموعة من المؤلفات الاخرى في موضوعات مختلفة ، وهو ذو روح متفتحة واعية ، تتصف بالظرف والأدب وحسن المعشر .

حمد الجاسر

المطابع الاهلية للأوفست ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية